الكواكب الدرية في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم

البردة

للإمام البوصيري

بهامشها مختصر شرح شيخ الأزهر

الشيخ إبراهيم الباجوري

Editions Al-Adab 1923

مكتبة الآداب

42 Opera Square - Cairo Tel: (202) 23900868

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

شرح

البردة

المسماة

الكواكب الدُّرِّيَّة في مدح خير البرية ﷺ

للإمام البوصيرى

[٦٠٨-٦٩٦هـ/ ١٢١١-١٢٩٦م]

ضبطها

أحمد على حسن

وعلَّق بهامشها مختصر شرح شيخ الأزهر

الشيخ إبراهيم الباجورى

[١١٩٨-١٢٧٧هـ = ١٧٨٠-١٨٥٧م]

Editions Al-Adab
42 Opera Square - Cairo (11111)
Tel & fax: (202) 23900868
E-mail:adabook@hotmail.com

مكتبة الآداب
أسسها على حسن عام ١٩٢٣م
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة (١١١١١)
تليفون وفاكس: ٢٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمدُ لله على ما آتانا من فضله ونعمه ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله صلاةً تقربنا إلى الله وتجعله عنا راضيًا .

وبعد .. فهذه قصيدة « البردة » المباركة للإمام البوصيري محمد بن سعيد بن حمّاد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري ، المغربى الأصل ، المصري المولد والموطن ، وُلد ببهشيم ٦٠٩هـ=١٢١١م ، أبوه من دلاص ، ويُنسب إلى بوصير بلد أمه ، وكلاهما قريتان من أعمال بني سويف بمصر ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٩٦هـ=١٢٩٦هـ ، رُوي أنه أنشأ هذه القصيدة حين أصابه فالجٌ (شلل) ، فاستشفع بها إلى الله تعالى ، ولمّا نام رأى النبيَّ ﷺ في منامه ، فمسح بيده المباركة بدنه ، فعوفي ، وخرج من بيته أوَّلَ النهار ، فلقيه بعض الفقراء (أى المتصوفين) ، فقال : يا سيدي أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحتَ بها رسولَ الله ﷺ . قال : أيُّ قصيدة ؟ قال : التي أوَّلها : « أَمِن تذكُّرِ

جيرانٍ ... » فأعطاها له .. وجرى ذكرُها بين الناس ، وأصبح الناس يتبركون بها ويستشفون بها ، على أن الاستشفاء بها ليس استشفاءً بألفاظها ، وإنما هو استشفاء برسول الله ﷺ ؛ إذ هو بَركة الدنيا والآخرة ﷺ .

ولقد تصدَّى لشرح هذه القصيدة الغرَّاء كبار علماء الإسلام ومنهم الشيخ إبراهيم بن محمد الجيزاوي الباجوري رحمه الله شيخ الأزهر الشريف المولود بمصر سنة ١١٩٨هـ والمتوفى ١٢٧٧هـ ، وشرْحهُ شرحٌ عجيب لطيف لا أستطيع له وصفًا ، طبعته مكتبة الآداب كاملاً أكثر من مرة ، بتحقيق المغفور له : الشيخ عبد الرحمن حسن محمود ، فرأيتُ تبسيطًا على المعاصرين من إخواني في الإسلام أن أختصر هذا الشرح ملتزمًا بألفاظ الشيخ رحمه الله .....

أسأل اللهَ أن ينفع بهذا الشرح .. والحمد لله رب العالمين .

أحمد على حسن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بُرْدَةُ المديح

أَمِنْ تَذكُّرِ جِيرانٍ بِذِي سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ (١)

أمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِن تِلْقاءِ كاظِمَةٍ
وَأوْمَضَ البَرْقُ في الظَّلْماءِ مِنْ إضَمِ (٢)

فما لِعينيكَ إنْ قلتَ اكْفُفا هَمَتا
وَما لِقَلْبِكَ إنْ قلتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ (٣)

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ
ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ ومُضْطَرِمِ (٤)

لوْلا الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً على طَلَلٍ
ولا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البانِ والعَلَمِ (٥)

ولا أعارَتْكَ لَوْنَيْ عَبْرَةٍ وضَنًى
ذِكْرَى الخِيَامِ وذِكْرَى ساكِني الخِيَمِ (٦)

فكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ ما شَهِدَتْ
بِهِ عَلَيْكَ عُدولُ الدَّمْعِ والسَّقَمِ (٧)

وأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وضَنًى
مِثْلَ البَهارِ عَلَى خَدَّيْكَ والعَنَمِ (٨)

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أهْوَى فأرَّقَني
والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللّذّاتِ بالألَمِ (٩)

يا لائِمِي في الهَوىَ العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً
مِنِّي إليكَ ولو أنصفْتَ لَمْ تَلُمِ (١٠)

عَدَتْكَ حالِيَ لا سِرِّي بمُسْتَتِرٍ
عَنِ الوُشاةِ ولا دائِي بمُنْحَسِمِ (١١)

مَحَّضتَني النُّصْحَ ، لكِنْ لَسْتُ أسْمَعُهُ
إنَّ المحِبَّ عَنِ العُذَّالِ في صَمَمِ (١٢)

إنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ في عَذَلٍ
والشَّيْبُ أبعَدُ في نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ (١٣)

فإنَّ أمّارَتي بالسُّوءِ ما اتَّعَظَتْ
مِنْ جَهْلِها بنَذيرِ الشَّيْبِ والهَرَمِ (١٤)

وَلا أعَـدَّتْ مِـنَ الفِعـلِ الجَمِيـلِ قِـرَى

ضَـــيْفٍ أَلَمَّ بــرَأسِي غَــيْرَ مُحْتَشِــمِ (١٥)

لَــوْ كُنْــتُ أعلَـــمُ أنِّي مــا أُوَقِّــرُهُ

كَتَمْــتُ سِرًّا بَــدا لِي مِنْــهُ بِــالكَتَمِ (١٦)

مَــنْ لِي بِــرَدِّ جِمــاحٍ مِــنْ غَوايَتِهــا

كَــما يُــرَدُّ جِمــاحُ الخَيــلِ بــاللُّجُمِ (١٧)

فــلا تَــرُمْ بالمعــاصِي كَسْرَ شَــهْوَتِها

إنَّ الطَّعــامَ يُقَــوِّي شَــهْوةَ الــنَّهِمِ (١٨)

والـنَّفْسُ كالطِّفْـلِ إنْ تُهْمِلْـهُ شَـبَّ علَى

حُــبِّ الرَّضــاعِ وإنْ تَفْطِمْــهُ يَــنْفَطِمِ (١٩)

فــاصْرِفْ هَواهــا وحــاذِرْ أنْ تُوَلِّيَــهُ

إنَّ الهَــوَى مــا تَــوَلَّى يُصْــمِ أوْ يَصِــمِ (٢٠)

وَراعِهــا وَهْــيَ في الأعْــمالِ ســائِمَةٌ

وإنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَـى فَـلاَ تُسِـمِ (٢١)

كَــمْ حَسَّــنَتْ لَــذَّةً لِلْمَــرْءِ قاتِلَــةً

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أنَّ السُّـمَّ في الدَّسَـمِ (٢٢)

واخْشَ الدسائسَ مِنْ جُوعٍ ومِنْ شِبَعٍ

فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ (٢٣)

وَاستَفْرِغِ الدَّمْعَ مَنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأتْ

مِنَ المَحارِمِ والْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ (٢٤)

وخالِفِ النفْسَ والشَّيْطَانَ واعْصِهِما

وإنْ هُما مَحَّضاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ (٢٥)

وَلا تُطِعْ مِنْهُما خَصْماً ولا حَكَماً

فأنتَ تعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ (٢٦)

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بلا عَمَلٍ

لقدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ (٢٧)

أمَرْتُكَ الخَيْرَ ، لَكِنْ ما ائْتَمَرْتُ بِهِ

وما اسْتَقَمْتُ فَما قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ؟! (٢٨)

ولا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ المَوْتِ نافِلَةً

ولم أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ ولَمْ أَصُمِ (٢٩)

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أحْيا الظلامَ إلى

أنِ اشْتَكَتْ قَدَماهُ الضُرَّ مِنْ وَرَمِ (٣٠)

وَشَــدَّ مِــنْ سَــغَبٍ أَحْشــاءَهُ وطَـوَى
تَحْتَ الحِجارَةِ كَشْـحاً مُـتْرَفَ الأَدَمِ (٣١)

وراودَتْـهُ الجِبـالُ الشُّـمُّ مِـنْ ذَهَـبٍ
عَــنْ نَفْسِــهِ فَأَراهــا أَيَّــما شَــمَمِ (٣٢)

وأَكَّــدَتْ زُهْــدَهُ فيهــا ضَرورَتُــهُ
إِنَّ الضَرورَةَ لا تَعْـدُو عَـلَى العِصَـمِ (٣٣)

وكيـفَ تَـدْعُو إلى الـدنيا ضَرورَةُ مَـنْ
لَـوْلاهُ لَمْ تُخْـرَجِ الـدُنيا مِـنَ العَـدَمِ (٣٤)

مُحَمَّــدٌ سَــيِّدُ الكَــوْنَيْنِ والثَّقَلَــيْنِ
والفـرِيقَينِ مِـنْ عُـرْبٍ ومِـنْ عَجَـمِ (٣٥)

نَبِيُّنــا الآمِــرُ النَّــاهِي فــلا أَحَــدٌ
أَبَــرَّ فِي قَــوْلِ لا مِنْــهُ ولا نعَــمِ (٣٦)

هُـوَ الحبيـبُ الـذي تُرْجَـى شَـفَاعَتُهُ
لِكُـلِّ هَـوْلٍ مَـنَ الأَهْـوَالِ مُقْـتَحَمِ (٣٧)

دَعــا إلى اللهِ فالمستَمْسِــكونَ بِــهِ
مُسْتَمسِـكونَ بِحَبْـلٍ غَـيْرِ مُنْفَصِـمِ (٣٨)

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وفي خُلُقٍ
وَلمْ يُدانُوهُ في عِلْمٍ ولا كَرَمِ (٣٩)

وكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ الله مُلْتَمِسٌ
غَرْفاً مِنَ البَحرِ أو رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ (٤٠)

وواقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ
مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ من شَكْلَةِ الحِكَمِ (٤١)

فَهْوَ الذي تَمَّ مَعناهُ وصُورَتُهُ
ثُمَّ اصْطفاهُ حَبيباً بارِيءُ النَّسَمِ (٤٢)

مُنَزَّهٌ عَنْ شريكٍ في مَحاسِنِه
فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فيه غَيْرُ مُنْقَسِمِ (٤٣)

دَعْ ما ادَّعَتْه النصارَى في نَبِيِّهِمِ
واحْكُمْ بما شئتَ مَدحاً فيهِ واحْتَكِمِ (٤٤)

وانْسُبْ إلىَ ذاتِهِ ما شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
وانْسُبْ إلى قَدْرِهِ ما شِئْتَ مِنْ عِظَمِ (٤٥)

فَإنَّ فَضْلَ رَسُولِ الله لَيْسَ لَهُ
حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ ناطِقٌ بِفَمِ (٤٦)

لَــوْ ناسَــبَتْ قَــدْرَهُ آياتُــهُ عِظَـمًا
أحْيا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دارِسَ الرِّمَمِ (٤٧)

لَمْ يَمْتَحِنَّــا بِــما تَعْيــا العُقُــولُ بِــهِ
حِرْصــاً عَلَيْنــا فلــم نَرْتَــبْ وَلَمْ نَهِـمِ (٤٨)

أعْيــا الــوَرَى فَهْـمُ مَعْنــاهُ فَلَيْسَ يُـرَى
فِي القُـرْبِ والبُعْـدِ فِيـهِ غَـيْرُ مُنْفَحِمِ (٤٩)

كالشَّــمْسِ تَظْهَـرُ للْعَيْنَـيْنِ مِــنْ بُعُــدٍ
صـغيرةً وتُكِــلُّ الطَّـرْفَ مِــنْ أَمَـمِ (٥٠)

وكَيْــف يُــدْرِكُ في الــدُّنيا حقيقَتَــهُ
قَــوْمٌ نِيــامٌ تَسَــلَّوْا عَنْــهُ بــالحُلُمِ (٥١)

فَمَبْلَــغُ العِلْــمِ فِيــهِ أَنَّــهُ بَشَرٌ
وأنَّــهُ خَــيْرُ خَلْــقِ اللهِ كُلِّهِــمِ (٥٢)

وَكُــلُّ آيٍ أَتَــى الرُّسْــلُ الكِــرامُ بهــا
فــإنما اتَّصــلتْ مِــنْ نــورِهِ بِهِــمِ (٥٣)

فإنَّــه شَــمْسُ فَضْــلٍ هُــمْ كَواكِبُهــا
يُظْهِـرْنَ أنْوارَهــا للنــاسِ في الظُّلَــمِ (٥٤)

أَكْــرِمْ بِخَلْــقِ نَبِــيٍّ زانَــهُ خُلُــقٌ
(٥٥) بالحُسْــنِ مُشْــتَمِلٍ بــالبِشْرِ مُتَّسِــمِ

كــالزَّهْرِ في تــرَفٍ والبَــدْرِ في شَرَفٍ
(٥٦) والبَحــرِ في كَــرَمٍ ، والــدَّهْرِ في هِمَــمِ

كأَنَّــهُ وهْــوَ فَــرْدٌ مِــنْ جَلالتــهِ
(٥٧) في عَسْــكَرٍ حــينَ تَلْقــاهُ وفي حَشَــمِ

كــأَنَّما اللُّؤْلــؤُ المكْنــونُ في صَــدَفٍ
(٥٨) مِــنْ مَعْــدِنَيْ مَنْطِــقٍ مِنْــهُ ومُبْتَسَــمِ

لا طِيــبَ يَعْــدِلُ تُرْبــاً ضَــمَّ أعْظُمَــهُ
(٥٩) طُــوبَى لِمُنتَشِــقٍ مِنْــهُ ومُلْتَــثِمِ

أبــانَ مَوْلِــدُهُ عــنْ طِيــبِ عُــنْصُرِهِ
(٦٠) يــا طِيــبَ مُفْتَــتَحٍ مِنْــهُ ومُخْتَــتَمِ

يَــوْمٌ تَفَــرَّسَ فيــهِ الفُــرْسُ أَنَّهُمُــوا
(٦١) قَــد أُنْــذِروا بِحُلــولِ البُــؤْسِ والــنِّقَمِ

وبــاتَ إيــوانُ كِسْرَى ، وَهْــوَ مُنْصَــدِعٌ
(٦٢) كَشَمْلِ أَصْحابِ كِسْرَى غَيْرَ مَلْتَئِمِ

والنارُ خامِدَةُ الأنْفاسِ مِنْ أسَفٍ

عليهِ ، والنَّهْرُ ساهِي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ (٦٣)

وساءَ ساوَةَ أنْ غاضتْ بُحيرَتُها

ورُدَّ وارِدُها بالغيظِ حِينَ ظَمِي (٦٤)

كأنَّ بالنارِ ما بِالماء مِنْ بَلَلٍ

حُزْناً ، وبالماءِ ما بِالنَّارِ مِنَ ضَرَمِ (٦٥)

والجِنُّ تَهْتِفُ والأنْوارُ ساطِعَةٌ

والحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنًى ومِنْ كَلِمِ (٦٦)

عَمُوا وصَمُّوا فإعْلانُ البَشائِرِ لَمْ

تُسْمَعْ ، وبارِقَةُ الإنْذارِ لَمْ تُشَمِ (٦٧)

مِنْ بَعْدِ ما أخْبَرَ الأقْوامَ كاهِنُهُمْ

بِأنَّ دينَهُمُ المُعْوجَّ لَمْ يَقُمِ (٦٨)

وبَعْدَ ما عايَنوا في الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ

مُنْقَضَّةٍ وِفْقَ ما في الأرْضِ مِنْ صَنَمِ (٦٩)

حَتَّى غَدا عَنْ طريقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ

مِنَ الشَّياطينِ يَقْفُو إثْرَ مُنْهَزِمِ (٧٠)

كــأنَّهُمْ هَرَبًــا أبطـــالُ أبْرَهَـــةٍ

أوْ عَسْكرٌ بالحَصَى مِنْ راحَتَيْهِ رُمِي (٧١)

نَبْــذاً بِـــهِ بَعْــدَ تَسْــبيحِ بِبَطْــنِهِما

نَبْـذَ المُسَــبِّحِ مِــن أحشــاءِ مُلْـتَقِمِ (٧٢)

جــاءتْ لِدَعْوَتِــهِ الأشْــجارُ ســاجِدَةً

تمشِي إليْــهِ عــلى ســاقٍ بــلا قَــدَمِ (٧٣)

كــأنما سَــطَّرَتْ سَــطْراً لِمــا كَتَبَــتْ

فُروعُهـا مِـنْ بَـديعِ الخَـطِّ في اللَّقَـمِ (٧٤)

مِثْــلَ الغَمامَــةِ أنَّــى ســارَ ســائِرَةٌ

تَقِيـهِ حَـرَّ وَطِيسٍ لِلهَجـيرِ حَمِـي (٧٥)

أقْسَــمْتُ بــالقَمَرِ المُنْشَــقِّ إنَّ لَــهُ

مِـنْ قَلْبِـهِ نسْـبةً مَـبْرورَةَ القَسَـمِ (٧٦)

ومـا حَـوَى الغـارُ مِنْ خَيْرٍ ومِنْ كَرَمِ

وكُـلُّ طَرْفٍ مِـنْ الكُفَّـارِ عَنْهُ عَمِـي (٧٧)

فالصِّـدْقُ في الغـارِ والصِّـدِّيقُ لَمْ يَرِمـا

وهُـمْ يَقولـونَ مـا بالغـارِ مِـن أرِمِ (٧٨)

ظَنُّوا الحَمامَ وَظَنُّوا العَنْكَبوتَ عَلى
خَيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ (٧٩)

وِقايَةُ اللهِ أغْنَتْ عَنْ مُضاعَفَةٍ
مِنَ الدروعِ وَعَنْ عالٍ مِنَ الأُطُمِ (٨٠)

ما ضامَني الدهْرُ يوماً واستَجَرْتُ بِهِ
إلاّ ونِلْتُ جِواراً مِنهُ لَمْ يُضَمِ (٨١)

ولا الْتَمَسْتُ غِنَى الدارَيْنِ مِنْ يَدِهِ
إلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ (٨٢)

لا تُنْكِرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤْياهُ؛ إنَّ لَهُ
قَلْباً إذا نامَتِ العَيْنانِ لَمْ يَنَمِ (٨٣)

وَذاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ
فَلَيْسَ يُنْكَرُ فيهِ حالُ مُحْتَلِمِ (٨٤)

تَبارَكَ اللهُ ما وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ
ولا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ (٨٥)

كَمْ أبرأَتْ وَصِباً باللَّمْسِ راحَتُهُ
وأطْلقَتْ أرِباً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ (٨٦)

وأحْيَتْ السَّنَةَ الشَّهْباءَ دَعْوَتُهُ

حَتَى حَكَتْ غُرَّةً في الأعْصُرِ الدُّهُمِ (٨٧)

بِعارِضٍ جادَ أوْ خِلْتَ البِطاحَ بِها

سَيْبٌ مِنَ الْيَمِّ أوْ سَيْلٌ مِنَ الْعَرِمِ (٨٨)

دَعْنِي ووَصْفِيَ آياتٍ لَهُ ظَهَرَتْ

ظُهورَ نَارِ القِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ (٨٩)

فالدُّرُّ يَزدادُ حُسْناً وهْوَ مُنتَظِمٌ

وليسَ يَنْقُصُ قَدْراً غيرَ مُنتَظِمِ (٩٠)

فما تَطاوُلُ آمالِ المَديحِ إلى

ما فيه مِنْ كَرَمِ الأخلاقِ والشِّيَمِ (٩١)

آياتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثَةٌ

قديمةٌ صِفَةُ الموصوفِ بالقِدَمِ (٩٢)

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنا

عَنِ المَعادِ وعن عادٍ وعن إرَمِ (٩٣)

دامَتْ لَدَيْنا ففاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ

مِنَ النَّبيِّينَ إذْ جاءتْ ولَمْ تَدُمِ (٩٤)

وَمُحْكَمَاتٌ فما تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ
لِذِي شِقاقٍ وما تَبْغِينَ مِنَ حَكَمِ (٩٥)

ما حُورِبتْ قَطُّ إلاّ عادَ مِنْ حَرَبٍ
أعْدَى الأعادِي إليها مُلْقِيَ السَّلَمِ (٩٦)

رَدَّتْ بلاغَتُها دَعْوَى مُعارِضِها
رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجانِي عَنِ الحُرَمِ (٩٧)

لها مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ في مَدَدٍ
وفَوْقَ جوْهَرِهِ في الحُسْنِ والقِيَمِ (٩٨)

فلا تُعَدُّ ولا تُحْصَى عَجائبُها
ولا تُسامُ على الإكْثارِ بالسَّأَمِ (٩٩)

قَرَّتْ بِها عَيْنُ قارِيها فَقُلْتُ لَهُ
لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فاعْتَصِمِ (١٠٠)

إن تَتْلُها خِيفَةً مِنْ حَرِّ نارِ لَظًى
أطفأَتْ حَرَّ لَظًى مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ (١٠١)

كأنَّها الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوجُوهُ بِهِ
مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جاءُوهُ كالحُمَمِ (١٠٢)

وكـــالصِّراطِ وكـــالميزانِ مَعْدِلَـــةً

فَالقِسْطُ مِنْ غَيْرِها في الناسِ لَمْ يَقُـمِ (١٠٣)

لا تعَجَـــبَنْ لِــحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهـــا

تجاهُلاً وَهْـوَ عَـيْنُ الحـاذِقِ الفَهِـمِ (١٠٤)

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَمْسِ مِنْ رَمَدٍ

ويُنْكِـرُ الفَـمُ طَعْـمَ المـاءِ مِـنْ سَـقَمِ (١٠٥)

يـا خَـيْرَ مَـنْ يَمَّـمَ العـافونَ سـاحَتَهُ

سَـعْياً وفَـوْقَ مُتـونِ الأيْنُـقِ الرُّسُـمِ (١٠٦)

ومَــنْ هُــوَ الآيَــةُ الكُــبْرَى لِمُعْتَــبِرٍ

ومَنْ هُوَ النِّعْمَـةُ العُظْمَـى لِـمُغتَنِمِ (١٠٧)

سَرَيْــتَ مِــنْ حَــرَمٍ لَــيْلاً إلى حَــرَمِ

كـما سَرَى البـدْرُ في داجٍ مِـنَ الظُّلَـمِ (١٠٨)

وَبِـــتَّ تَرْقَـــى إلى أنْ نِلْـــتَ مَنزِلَـــةً

مِـنْ قَـابَ قَوْسَيْنِ لَمْ تُـدْرَكْ وَلَمْ تُـرَمِ (١٠٩)

وقَـــدَّمَتْكَ جَميـــعُ الأنبيـــاءِ بِهـــا

والرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدومٍ عَـلَى خَـدَمِ (١١٠)

وأنـت تَخْـتَرِقُ السَّـبْعَ الطِّبـاقَ بِهِـمْ

فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فيهِ صَاحِبَ العَلَـمِ(١١١)

حَتَّـى إذا لم تَـدَعْ شَـأواً لِـمُسْتَبِقٍ

مِـنَ الـدُّنُوِّ ولا مَرْقًـى لِمُسْـتَنِمِ(١١٢)

خَفَضْـتَ كُـلَّ مَقَـامٍ بالإضـافَةِ إذْ

نُودِيـتَ بـالرَّفعِ مِثْـلَ المُفْـرَدِ العَلَـمِ(١١٣)

كَـيْما تَفـوزَ بِوَصْـلٍ أيِّ مُسْـتَتِرٍ

عَـنِ العُيُـونِ وَسِرٍّ أيِّ مُكْتَـتَمِ(١١٤)

فَحُـزْتَ كُـلَّ فَخَـارٍ غَـيْرَ مُشْـتَرَكٍ

وجُـزْتَ كُـلَّ مَقـامٍ غَـيْرَ مُـزْدَحَمِ(١١٥)

وجَـلَّ مِقْـدارُ مـا وُلِّيـتَ مِـنْ رُتَـبٍ

وعَـزَّ إِدْراكُ مـا أُولِيـتَ مِـنْ نِعَـمِ(١١٦)

بُشْرَى لنـا مَـعْشَرَ الإسْـلامِ إنَّ لَنـا

مِـنَ العِنايَـةِ رُكْنًـا غَـيْرَ مُنْهَـدِمِ(١١٧)

لَـمّا دَعـا اللهُ داعينـا لِطاعَتِـهِ

بِـأكرَمِ الرُّسْـلِ كُنّـا أكْـرَمَ الأُمَـمِ(١١٨)

راعَـتْ قُلـوبَ العِـدا أنبـاءُ بَعْثَتِـهِ
كنَبْـأَةٍ أجْفَلَـتْ غُفْـلاً مِـنَ الغَـنَمِ (١١٩)

مـا زالَ يَلْقـاهُمُ في كُـلِّ مُعْـتَرَكٍ
حَتَّى حَكَوْا بالقَنا لَحْماً على وَضَمِ (١٢٠)

وَدُّوا الفَـرَارَ فكـادُوا يَغبِطـون بِـهِ
أشْلاءَ شالَتْ مَعَ العِقْبان والرَّخَمِ (١٢١)

تَمْضِي الليـالي ولا يَـدرونَ عِـدَّتَها
ما لَمْ تكُـنْ مِنْ لَيالي الأشْهُرِ الحُرُمِ (١٢٢)

كـأنَّما الـدِّينُ ضَـيْفٌ حَـلَّ سـاحَتَهُمْ
بكُـلِّ قَـرْمٍ إلى لَـحْمِ العِـدا قَـرِمِ (١٢٣)

يَجُـرُّ بَحْـرَ خَمـيسٍ فَـوْقَ سـابِحَةٍ
يَرْمِـي بِمَـوْجٍ مِـنَ الأبطـالِ مُلْـتطِمِ (١٢٤)

مِـنْ كُـلِّ مُنْتَـدِبٍ للهِ مُـحْتَسِبٍ
يَسْطُو بِمُسْتأصِلٍ للكُفْرِ مُصْطَلِمِ (١٢٥)

حَتَّى غَـدَتْ مِلَّـةُ الإسلام وَهْـيَ بِهِـمِ
مِـنْ بَعْـدِ غُرْبَتِهـا موصـولَةَ الـرَّحِمِ (١٢٦)

مَكْفولَةً أبدًا مِنهُمْ بِخَيْرِ أبٍ
وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ (١٢٧)

هُمُ الجِبالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصادِمَهُمْ
ماذا رأى مِنْهُمْ في كُلِّ مُصْطَدَمِ (١٢٨)

وَسَلْ حُنَيْناً وسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً
فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أدْهَى مِنَ الوَخَمِ (١٢٩)

المُصْدِري البيضَ حُمْراً بَعْدَ ما وَرَدَتْ
مِنَ العِدا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ (١٣٠)

والكاتبينَ بِسُمْرِ الخَطِّ ما تَرَكَتْ
أقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غيرَ مَنْعَجِمِ (١٣١)

شاكِّي السِّلاحِ لَهُمْ سِيما تُمَيِّزُهُمْ
والوَرْدُ يَمْتازُ بالسِّيما عَنِ السَّلَمِ (١٣٢)

تُهْدِي إليكَ رِياحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ
فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ في الأكمامِ كُلَّ كَمِي (١٣٣)

كأنَّهُمْ في ظُهُورِ الخَيلِ نَبْتُ رُبًا
مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ (١٣٤)

طارَتْ قُلوبُ العِدا مِنْ بَأسِهِمْ فَرَقًا
فَما تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ والبُهَمِ (١٣٥)

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسولِ اللهِ نُصْرَتُهُ
إنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِها تَجِمِ (١٣٦)

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ
بِهِ ولا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ (١٣٧)

أَحَلَّ أُمَّتَهُ في حِرْزِ مِلَّتِهِ
كاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبالِ في أَجَمِ (١٣٨)

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِماتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ
فِيهِ وكَمْ خَصَمَ البُرهانُ مِنْ خَصِمِ (١٣٩)

كَفاكَ بِالعِلْمِ في الأُمِّيِّ مُعجِزَةً
في الجاهِلِيَّةِ والتأديبِ في اليُتُمِ (١٤٠)

خَدَمْتُهُ بِمَديحٍ أَسْتَقيلُ بِهِ
ذُنوبَ عُمْرٍ مَضَى في الشِّعْرِ والخِدَمِ (١٤١)

إذْ قَلَّدانِي ما تُخْشَى عَواقِبُهُ
كَأَنَّني بِهِما هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ (١٤٢)

أطَعْتُ غَيَّ الصِّبا في الحالتينِ وَما

حَصَلْتُ إلاّ على الآثامِ والنَّدَمِ (١٤٣)

فيا خَسارةَ نَفْسٍ في تجارتِها

لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بالدنيا ولم تَسُمِ (١٤٤)

وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بعاجِلِهِ

يَبِنْ لَهُ الغَبْنُ في بَيْعٍ وفي سَلَمِ (١٤٥)

إنْ آتِ ذَنْبًا فما عَهْدِي بِمُنْتقِضٍ

مِنَ النَّبيِّ ولا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ (١٤٦)

فَإنَّ لي ذِمَّةً مِنْهُ بتَسْمِيَتي

مُحَمَّداً وَهْوَ أوْفَى الخَلْقِ بالذِّمَمِ (١٤٧)

إنْ لَمْ يَكُنْ في مَعَادي آخِذًا بِيَدي

فَضْلاً، وإلّا فقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ (١٤٨)

حاشاهُ أن يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكارِمَهُ

أو يُرْجِعَ الجارَ مِنْهُ غيرَ مُحْتَرَمِ (١٤٩)

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أفكارِي مَدائِحَهُ

وَجَدْتُهُ لِخَلاصي خيْرَ مُلْتَزَمِ (١٥٠)

وَلَـن يَفُـوتَ الغِنَـى مِنْـهُ يـدًا تَرِبَـتْ

إنَّ الـحَيا يُنبِتُ الأزهـارَ في الأُكُـمِ (١٥١)

ولَمْ أُرِدْ زَهْـرَةَ الـدنيا التـي اقْتَطَفَـتْ

يَـدا زُهَـيْرٍ بـما أَثْنَـى عَـلَى هَـرِمِ (١٥٢)

يـا أكْـرَمَ الرُّسْـلِ مـا لِي مَـنْ أَلُـوذُ بِـهِ

سِواكَ عِنْدَ حُلولِ الحادثِ العَمَمِ (١٥٣)

ولَـنْ يَضِـيقَ رَسـولَ اللهِ جاهُـكَ بي

إذا الكـريمُ تَحَـلَّى باسْـمِ مُنْـتَقِمِ (١٥٤)

فَـإنَّ مِـنْ جُـودِكَ الـدُّنْيا وَضَرَّتَهـا

ومِنْ عُلومكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ (١٥٥)

يـا نَفْسُ لا تَقْنَطي مِـنْ زَلَّـةٍ عَظُمَـتْ

إنَّ الكَبـائِرَ في الغُفْـرانِ كـاللَّمَمِ (١٥٦)

لَعَـلَّ رَحْمَـةَ رَبِّي حِـينَ يَقْسِـمُها

تَأْتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ في القِسَمِ (١٥٧)

يا رَبِّ واجْعَلْ رَجائي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ

لَدَيْكَ واجْعَلْ حِسابي غَيْرَ مُنْخَرِمِ (١٥٨)

والطُـفْ بِعَبْـدِكَ في الـدارَيْنِ إنَّ لَـهُ
صَـبْرًا مَتـى تَدْعُـهُ الأهْـوالُ يَنْهَـزِمِ (١٥٩)

وائْـذَنْ لِسُـحْبِ صَـلاةٍ منْـكَ دائِمَـةٍ
عـلَى النَّبِـيِّ بِمُنْهَـلٍّ ومُنْسَـجِمِ (١٦٠)

مـا رَنَّحَـتْ عَـذَباتِ البـانِ ريـحُ صَبًا
وأطْرَبَ العِيسَ حادي العِيسِ بـالنَّغَمِ (١٦١)

* * *

قال الشيخ الباجوري ـ رحمه الله : ويوجد في بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من الشارحين ، لكن لا بأس بها وهي :

ثُمَّ الرِّضـا عـن أبي بكْـرٍ وعَـنْ عُمَـرٍ
وعَـنْ عَـليٍّ وعـن عـثمانَ ذي الكَـرمِ

والآلِ والصَّـحْبِ ثُـمَّ التـابعينَ فَهُـمْ
أهْـلُ التُّقَـى والنَّقَـا والحِلْـمِ والكَـرَمِ

يـا رَبِّ بالمُصـطَفَى بَلِّـغْ مَقاصِـدَنَا
واغْفِـرْ لنـا مـا مَضى يـا واسِـعَ الكَـرَمِ

وَاغْفِـرْ إلهِـي لكُـلِّ المسـلمين بـما
يتلـونَ في المسـجد الأقْصَى وفي الحَـرَمِ
بِجـاهِ مَـنْ بَيْتُـهُ في طِيبَـةٍ حَـرَمٌ
وإسـمُهُ قَسَـمٌ مِـنْ أعظَـمِ القَسَـمِ
وهَـذِهِ بُـرْدَةُ المخْتـارِ قَـدْ خُتِمَـتْ
والحَمْـدُ للهِ في بَـدْءٍ وفي خَـتَمِ
أبياتُهَـا قـد أتـتْ سِـتين مَـعْ مِائَـةٍ
فَـرِّجْ بهـا كَرْبَنـا يـا واسـعَ الكَـرَمِ

* * *

القصيدة المُضَرِيَّة

في الصلاة على خير البَرِيَّة ﷺ

للإمام البوصيري

يَـا رَبِّ صَـلِّ عَـلَى الْمُخْتـارِ مِـنْ مُضَرِ
وَالأَنْبِيَـا وَجَمِيـعِ الرُّسْـلِ مَـا ذُكِـرُوا (١)

وَصَـلِّ رَبِّ عَـلَى الهـادِي وَشِـيعَتِهِ
وَصَـحْبِهِ مَـنْ لِطَـيِّ الـدِّينِ قَـدْ نَشَرُوا (٢)

وَجَاهَـدُوا مَعَـهُ فِي اللهِ وَاجْتَهَـدُوا
وَهَـاجَرُوا وَلَـهُ آوَوْا وَقَـدْ نَصَرُوا (٣)

وَبَيَّنُوا الفَـرْضَ وَالمَسْنُونَ وَاعتَصَبُوا
للهِ وَاعْتَصَـمُوا بِـاللهِ فَـانْتَصَرُوا (٤)

أَزْكَـى صَـلاةٍ وَأَنْمَاهَـا وَأَشْرَفَهَـا
يُعَطِّـرُ الْكَـونَ مِنْهَـا نَشْرُهَـا الْعَطِـرُ (٥)

مَعْبُوقَـةٍ بِعَبِيـقِ الْمِسْـكِ زَاكِيَـةٍ
مِـنْ طِيبِهَـا أَرَجُ الرِّضْـوَانِ يَنْـتَشِرُ (٦)

عَـدَّ الْـحَصَى وَالثَّرَى وَالرَّمْلِ يَتْبَعُهَا
نَجْـمُ السَّمَا وَنَبَـاتُ الأَرْضِ وَالْمَـدَرُ (٧)

وَعَــدَّ وَزْنِ مَثَاقِيــلِ الجِبَــالِ كَــمَا
(٨) يَلِيــهِ قَطْــرُ جميــع المــاءِ وَالمطَــرُ

وَعَــدَّ مَـا حَــوَتِ الأشْـجَارُ مِـنْ وَرَقٍ
(٩) وَكُــلِّ حَــرْفٍ غَــدَا يُــتْلَى وَيُسْــتَطَرُ

وَالْـوَحْشِ وَالْطَّـيْرِ وَالأَسْـمَاكِ مَـعْ نَعَمٍ
(١٠) يَلِــيهِمُ الجِــنُّ والأمْــلاكُ وَالــبَشَرُ

وَالْـذَّرُّ وَالنَّمْـلُ مَـعْ جَمْعِ الحُبُـوبِ كَـذَا
(١١) وَالشَّــعْرُ وَالصُّــوفُ وَالأرْيَــاشُ وَالــوَبَرُ

وَمَـا أَحَـاطَ بِـهِ العِلْـمُ الْـمُحِيطُ وَمَـا
(١٢) جَــرَى بِــهِ الْقَلَــمُ المَــأمُورُ وَالْقَــدَرُ

وَعَــدَّ نَعْمَائِــكَ الــلاَّتي مَنَنْــتَ بِهَــا
(١٣) عَــلَى الخَلائِــقِ مُــذْ كَــانُوا وَمُــذْ حُشِرُوا

وَعَــدَّ مِقْـدَارِهِ السَّـامي الَّـذي شَرُفَـتْ
(١٤) بِــهِ النَّبِيُّــونَ وَالأمْــلاَكُ وَافْتَخَــرُوا

وَعَـدَّ مَـا كَـأنَ في الأكْـوَانِ يَـا سَنَدِي
(١٥) وَمَــا يَكُــونُ إلى أنْ تُبْعَــثَ الصُّــوَرُ

في كُــلِّ طَرْفَــةِ عَــيْنٍ يَطرِفُــونَ بِهَــا
(١٦) أَهْــلُ السَّـمَوَاتِ وَالأرْضِـينَ أوْ يَـذَرُوا

مِـلْءَ السـمَواتِ وَالأَرْضِـينَ مَـعْ جَبَـلِ
وَالْفَـرْشِ وَالْعَـرْشِ والْكُـرْسِي وَمـا حَصَـرُوا (١٧)

مَــا أعْـــدَمَ اللهُ مَوْجُـــودًا وَأوْجَـــدَ
مَعْــدُومًا صَــلاَةً دَوامًــا لَـيسَ تَـنْحَصِرُ (١٨)

يَسْـتَغْرِقُ الْعَـدَّ مَـعْ جَمْـعِ الـدُّهورِ كَـمَا
تُحِـيطُ بِالْــحَدِّ لا تُبْقِــي وَلاَ تَــذَرُ (١٩)

لاَ غَايَــةً وَانْتَهــاءً يَــا عَظِــيمُ لَهَــا
وَلا لَهَــا أمَــدٌ يُــقضَى فَيُعْتَــبَرُ (٢٠)

وَعَــدَّ أضْـعَافِ مَـا قَـدْ مَـرَّ مِـنْ عَـدَدٍ
مَـعْ ضِـعْفِ أضْـعَافِهِ يَـا مَـنْ لَـهُ الْقَـدَرُ (٢١)

كَـمَا تُحِــبُّ وَتَــرْضَى سَـيِّدِي وَكَـما
أمَرْتَنَــا أنْ نُصَــلِّي أنْــتَ مُقْتَــدِرُ (٢٢)

مَــعَ السَّــلاَمِ كَـمَا قَـدْ مَـرَّ مِـنْ عَـدَدٍ
رَبِّي وَضَــاعِفْهُمَا وَالْفَضْــلُ مُنْــتَشِرُ (٢٣)

وكُــلَّ ذَلِــكَ مَضْرُوبٌ بِحقِّــكَ في
أنْفَـاسِ خَلْقِـكَ إنْ قَلُّـوا وَإنْ كَثُـرُوا (٢٤)

يَــا رَبِّ وَاغْفِـرِ لِقَارِيهــا وَسَــامِعِها
وَالْمُسْــلِمِينَ جَمِيعًـــا أيْــنَما حَضَرُوا (٢٥)

وَوَالِـــدِينَا وَأَهْلِينَـــا وَجِيرَتِنــا

وَكُلُّنَـا سَــيِّدِي لِلْعَفْـوِ مُفْتَقِـرُ (٢٦)

وَقَـدْ أَتَيْـتُ ذُنُوبًـا لاَ عِـدادَ لَهَـا

لَكِـنَّ عَفْـوَكَ لا يُبْقِـي وَلا يَـذَرُ (٢٧)

وَالـهَمُّ عَنْ كُـلِّ مَـا أَبْغِيـهِ أَشْـغَلَنِي

وَقَـدْ أَتَـى خَاضِـعًا وَالْقَلْـبُ مُـنْكَسِرُ (٢٨)

أَرْجُـوكَ يَـا ربِّ فِي الـدَّارَيْنِ تَرْحَمُنَـا

بِجَـاهِ مَـنْ فِي يَدَيْـهِ سَـبَّحَ الحَجَـرُ (٢٩)

يَـا رَبِّ أَعْظِـمْ لنَـا أَجْـرًا وَمَغْفِـرَةً

فَـإِنَّ جُـودَكَ بَحْـرٌ لَـيْسَ يَـنْحَصِرُ (٣٠)

وَاقْـضِ دُيُونًـا لَهَـا الأَخْـلاقُ ضَـائِقَةٌ

وَفَـرِّجِ الكَـرْبَ عَنَّـا أَنْـتَ مُقْتَـدِرُ (٣١)

وكُـنْ لَطِيفًـا بِنَـا فِي كُـلِّ نَازِلَـةٍ

لُطْفًـا جَمِـيلاً بِـهِ الأَهْـوَالُ تَـنْحَسِرُ (٣٢)

بِالْمُصْـطَفَى الْمُجْتَـبَى خَيْرِ الأَنَـامِ وَمَـنْ

جَلاَلَـةً نَزَلَـتْ فِي مَدْحِـهِ السُّـوَرُ (٣٣)

ثُـمَّ الصَّلاةُ عَلَى الْـمُخْتارِ مَـا طَلَعَـتْ

شَـمْسُ النَّهَـارِ وَمَـا قَـدْ شَعْشَعَ الْقَمَـرُ (٣٤)

ثُـمَّ الرِّضَـا عَـنْ أَبِي بَكْـرٍ خَلِيفَتِـهِ
مَـنْ قَـامَ مِـنْ بَعْـدِهِ لِلـدِّينِ يَنْـتَصِرُ (٣٥)

وَعَـنْ أَبِي حَفْـصٍ الْفَـارُوقِ صَـاحِبِهِ
مَـنْ قَوْلُـهُ الْفَصْـلُ فِي أَحْكَامِـهِ عُمَـرُ (٣٦)

وَجُـدْ لِعُثْمَانَ ذِي النُّـورَيْنِ مَـنْ كَمُلَـتْ
لَـهُ الْـمَحَاسِنُ فِي الـدَّارَيْنِ وَالظَّفَـرُ (٣٧)

كَـذَا عَـلِيٌّ مَـعَ ابْنَيْـهِ وَأُمِّهِـمَا
أَهْـلُ الْعَبَـاءِ كَـمَا قَـدْ جَاءَنَـا الْخَـبَرُ (٣٨)

سَـعْدٌ سَـعِيدُ بْـنُ عَـوْفٍ طَلْحَـةٌ وَأَبُـو
عُبَيْـدَةٍ وَزُبَـيْرٌ سَـادَةٌ غُـرَرُ (٣٩)

وَحَمْـزَةٌ وَكَـذَا الْعَبَّـاسُ سَـيِّدُنَا
وَنَجْلُـهُ الْـحَبْرُ مَـنْ زَالَـتْ بِـهِ الْغِـيَرُ (٤٠)

وَالآلُ وَالصَّـحْبُ وَالأَتْبَـاعُ قَاطِبَـةً
مَـا جَـنَّ لَيْـلُ الـدَّيَاجِي أَوْ بَـدَا السَّـحَرُ (٤١)

* * *

القصيدة المحمَّدية للإمَام البوصيري

مُحَمَّــدٌ أَشْرَفُ الأعْــرَابِ وَالْعَجَــم
مُحَمَّـدٌ خَـيْرُ مَـنْ يَـمْشِي عَـلَى قَـدَمِ (١)

مُحَمَّــدٌ بَاسِــطُ المــَعْرُوفِ جَامِعُــهُ
مُحَمَّـدٌ صَـاحِبُ الإِحْسَـانِ وَالْكَـرَمِ (٢)

مُحَمَّــدٌ تَــاجُ رُسْــلِ الله قَاطِبَــةً
مُحَمَّــدٌ صَــادِقُ الأقْــوَالِ وَالكَلِــمِ (٣)

مُحَمَّــدٌ ثَابِــتُ الْمِيثَــاقِ حَافِظُــهُ
مُحَمَّــدٌ طَيِّــبُ الأخْــلاقِ وَالشِّــيَمِ (٤)

مُحَمَّــدٌ رُوِيَــتْ بِــالنُّورِ طِينَتُــهُ
مُحَمَّــدٌ لَمْ يَــزَلْ نُــورًا مِــنْ الْقِــدَمِ (٥)

مُحَمَّــدٌ حَــاكِمٌ بِالْعَــدْلِ ذُو شَرَفٍ
مُحَمَّــدٌ مَعْــدِنُ الإنْعَــامِ وَالْحِكَــمِ (٦)

مُحَمَّــدٌ خَــيْرُ خَلْــقِ الله مِــنْ مُضَرٍ
مُحَمَّــدٌ خَــيْرُ رُسْــلِ الله كُلِّهِــمِ (٧)

مُحَمَّــدٌ دِينُــهُ حَــقٌّ نَــدِينُ بِــهِ
مُحَمَّــدٌ مُجْمِــلاً حَقَّــا عَــلَى عَلَــمِ (٨)

مُحَمَّـــدٌ ذِكْـــرُهُ رَوْحٌ لِأَنْفُسِـــنَا
مُحَمَّـــدٌ شُـكْرُهُ فَـرْضٌ عَـلَى الأُمَـمِ (٩)

مُحَمَّـــدٌ زِينَـــةُ الـــدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَـــا
مُحَمَّـــدٌ كَاشِـــفُ الْغُـــمَّاتِ وَالظُّلَـــمِ (١٠)

مُحَمَّـــدٌ سَـــيِّدٌ طَابَـــتْ مَنَاقِبُـــهُ
مُحَمَّـــدٌ صَـــاغَهُ الـــرَّحْمَنُ بِـــالنِّعَمِ (١١)

مُحَمَّـــدٌ صَـــفْوَةُ الْبَـــارِي وَخِيَرَتُـــهُ
مُحَمَّـــدٌ طَـــاهِرٌ مِّـــنْ سَـــائِرِ الـــتُّهَمِ (١٢)

مُحَمَّـــدٌ ضَـــاحِكٌ لِلضَّـــيْفِ مُكْرِمُـــهُ
مُحَمَّـــدٌ جَـــارُهُ واللهِ لَمْ يُضَـــمِ (١٣)

مُحَمَّـــدٌ طَابَـــتِ الـــدُّنْيَا بِبَعْثَتِـــهِ
مُحَمَّـــدٌ جَـــاءَ بِالآيَـــاتِ وَالْحِكَـــمِ (١٤)

مُحَمَّـــدٌ يَـــوْمَ بَعْـــثِ النَّـــاسِ شَـــافِعُنَا
مُحَمَّـــدٌ نَـــورُهُ الْهَـــادِي مِـــنَ الظُّلَـــمِ (١٥)

مُحَمَّـــدٌ قَـــائِمٌ للهِ ذُو هِمَـــمِ
مُحَمَّـــدٌ خَـــاتَمٌ لِلرُّسْـــلِ كُلِّهِـــمِ (١٦)

❊ ❊ ❊

شرح بُرْدَةُ المَديح

أَمِـنْ تَـذَكُّرِ جِـيرانٍ بِـذِي سَـلَمِ
مَزَجْـتَ دَمْعًـا جَـرَى مِـنْ مُقْلَـةٍ بِـدَمِ (١)

أَمْ هَبَّـتِ الـرِّيحُ مِـن تِلْقـاءِ كاظِمَـةٍ
وَأَوْمَـضَ الـبَرْقُ في الظَّلْمـاءِ مِـنْ إِضَـمِ (٢)

---

(١) قوله « أمن تذكر إلخ » الهمزة للاستفهام ، و « من » للتعليل ، والمراد بالجيران : المحبوبون ، والمراد بذي سلم موضع بين مكة والمدينة ، والمزج : الخلط ، وكنى بمزج الدمع بالدم عن كثرة البكاء . والدمع : ماء يصعد إلى الدماغ فيسيل من مجرى العيون بسبب شدة الحرارة الغريزية عند حادث سرور أو حزن ، ويكون باردًا للسرور ، وساخنًا للحزن . والجري : السيلان بشدة، والمقلة : شحمة العين التي تجمع السواد والبياض ، والدم : أحد الأمشاج الأربعة التي خُلق منها الإنسان : الماء والهواء والتراب والنار . وفي هذا البيت براعة استهلال ؛ لأن فيه إشارة إلى أن هذه القصيدة في مدح النبي ﷺ ، حيث ذكر فيه المواضع التي بقرب المدينة الشريفة .

(٢) قوله « أم هبت الريح إلخ » ، أم : حرف عطف يُطلب بها وبالهمزة التعيين ، وواو العطف إما على حقيقتها ، أو بمعنى « أو » ، وأما هبوب الريح من جهة كاظمة فلأن المحب دائمًا يفكر في محاسن محبوبه ، فإذا هبت الريح من جهة موضعه ، تخيل أنها حملت روائحه إليه ، وأما إيماض البرق من إضم ؛ فلأن من عادة المحبين أن يرتاحوا للبرق إذا لمع من جهة ديار الأحبة . وهبوب الريح : هيجانها ، و « تلقاء » بمعنى حذاء ، وكاظمة (قال في القاموس : هي ريح تقابل الصَّبا) ، وقيل اسم موضع ، و الإيماض : اللمعان الخفيف ، و الظلماء : صفة لموصوف محذوف والتقدير في الليلة الظلماء ، و إضم : اسمٌ لجبل ، وقيل اسمٌ لوادٍ بقرب المدينة الشريفة .

فَما لِعَيْنَيْكَ إنْ قلتَ اكْفُفا هَمَتا
وَما لِقَلْبِكَ إنْ قلتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ (٣)

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ
ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ ومُضْطَرِمِ (٤)

لَوْلا الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً على طَلَلٍ
ولا أَرِقْتَ لِذكْرِ البانِ والعَلَمِ (٥)

---

٣٣) أي إذا صدقتَ في إنكارك الحب فأي شيء ثبت لعينيك أوجبَ لهما أنك إن قلت لهما اكففا همتا ؟ وأي شيء ثبتَ لقلبك أوجب له أنك إن قلت له استفق يهم ؟! و « ما » في الموضعين اسم استفهام ، ومعنى اكففا : أمسكا عن البكاء ، و « همتا » بمعنى سالتا ، أي همتا دمعًا ، والقلب : لحم على شكل الصنوبر ، وقال بعضهم : القلب سرٌّ وضعه الله في هذه اللحمة فتسميتها قلبًا لحلوله فيها . استفق : أفق . « يَهِمْ » مضارع هام يهيم إذا قام به الهيام وهو داء كالجنون ينشأ من العشق .

(٤) الهمزة للاستفهام الإنكاري ، ويحسب : بكسر السين وفتحها أي يظن ، والصب : العاشق من قولهم صبَّ الماءَ لأنه لما كان كثير البكاء فكأنه يصب الدمع ، وقال بعضهم من « الصبابة » وهي رقة العشق وحرارته . و « ما » اسم موصول بمعنى الذي ، والمنسجم : السائل ، والمضطرم : المشتعل . والمعنى : لا يظن العاشق أن الحب مستتر عن الناس الذي هو بين دمع سائل وقلب مشتعل من نار الحب ، وكل منهما من آثار الحب مع كونهما ظاهرين ، وحينئذ فإنكار الحب غلط .

(٥) الهوى : مصدر هَوِيَ بكسر الواو : إذا أحب ، فهو بمعنى الحب ، و « لولا » حرف يدلّ على امتناع الجواب لوجود الشرط . وقوله لم ترق دمعًا أي لم تصبّه ، والطلل : ما بقي من آثار الدار مرتفعًا ، و « على » الداخلة عليه للتعليل أي لأجل طلل ، وأرقت بكسر الراء : بمعنى سهرتَ ، والبان : شجرٌ طيب الريح ، والعَلَم : يُطلق على معانٍ منها الجبل والرمح ، =

ولا أعارتْـكَ لَـوْنَيْ عَـبْرَةٍ وضَـنًى

ذِكْـرَ الخِيَـامِ وذِكْـرَى سـاكِنِي الخِـيَمِ (٦)

فكَيْـفَ تُنْكِـرُ حُبًّـا بَعْـدَ مـا شَـهِدَتْ

بـهِ عَلَيْـكَ عُـدولُ الـدَّمْعِ والسَّـقَمِ (٧)

وأَثْبَـتَ الوَجْـدُ خَطَّـيْ عَـبْرَةٍ وضَـنًى

مِثْـلَ البَهـارِ عَـلَى خـدَّيْكَ والعَـنَمِ (٨)

= أي ولا سهرتَ لذكر البان والعلم الكائنين بمحل المحبوب ، ويحتمل أنه شبه المحبوب بهما في طيب الرائحة وحسن الهيئة وطول القامة .

(٦) **أعارتك** : أعطتك على سبيل العارية ، **لـونَيْ عـبرة وضـنى** : والمراد باللونين هنا النوعان ، **والعبرة** بفتح العين : الدموع ، **والضـنى** : المرض ، وقوله **ذكر** : أي تذكر ، وكل من **الخيام** و**الخيم** جمع خيمة وهـي بيت تتخذه العرب من عيدان الشجر .

(٧) و « **كيف** » حال مقدَّمة مضمَّنة معنى الاستفهام على وجه الإنكار ، ومعنى **تنكر** : تجحد ، والجحد هـو النفي بعد العلم بخلافه قبله ، **والعدول** جمع عدل : مَن لا تُرَدُّ شهادته ، **والدمع** هو الماء الجاري من العين . و**السَّقَم** بفتحتين : المرض ، وإنما ذكر كونهم عدولاً للإشارة إلى أنه لا يمكن المخاطَب ردّ شهادتهم .

(٨) **الوجد** : هو الحزن بسبب الحب ، وقيل : نيران أشواق تنشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب . وقوله **خطَّيْ عَبرة** بفتح العين : أي خطين من الدموع ، وقوله « **وضنى** » : عطف على خطَّي عَبرة لكن على تقدير مضاف ، وقوله « **مثل البهار إلخ** » صفة لكل مِن خَطَّيْ العبرة والضنى ؛ لأن البهار بفتح الباء الموحَّدة وردٌ أصفر ، وأثر الضنى صفرة الوجه ، فأثر الضنى مثل البهار في الصفرة . و « **العنم** » بفتح العين والنون : شجرٌ له أغصان حمر ، وقيل ورد أحمر ، والخطَّان من العبرة أحمران لامتزاج الدم بالدمع ، فالخطّان من العبرة مثل العنم =

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أهْوَى فأرَّقَني
والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللّذَّاتِ بالألَمِ (٩)

يا لائِمِي في الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرةً
مِنِّي إليكَ ولو أنصَفْتَ لَمْ تَلُمِ (١٠)

عَدَتْكَ حالِيَ لا سِرِّي بمُسْتَتِرٍ
عَنِ الوُشاةِ ولا دائِي بمُنْحَسِمِ (١١)

= في الحمرة . والمعنى : وكيف تنكر حبًّا بعد ما أثبت الوجدُ على خديك علامتين ظاهرتين على الحب ، فكل من رآك يعرف الحب في وجهك ؟

(٩) لما اتضح حال المسئول مما هو عليه من الحب ولم يبق له سبيلٌ إلى الإنكار أقرّ واعترف بذلك ، و « **نعم** » حرف إيجاب لما سبق ، « **سرى إليَّ** » أي سار إليَّ ليلاً لأن السُّرَى هو السير ليلاً . وقوله **طيف من أهوى** : أي خيال من أحب ، و « أهوى » مضارع هوِيَ بكسر الواو بمعنى أحب بخلاف هوَى بفتح الواو فإنه بمعنى سقط ، وقوله « **والحب يعترض اللذات بالألم** » أي يدفعها بالألم ، يقال اعترضه بالسهم إذا دفعه به ، والمراد باللذات ما كان فيه من النوم والتسلي عن المحبوبين ، وبالألم ما ينشأ عن الحب من شدة الوجد .

(١٠) « **الهوى العذري** » أي الهوى المنسوب إلى بني عذرة بضم العين ، وهم قبيلة مشهورة باليمن ، يؤدّي بهم العشق إلى الموت لصدقهم في الحب ورقة قلوبهم ، وقوله **معذرة** : أي أعتذر معذرة أو أقدِّم معذرة ، وقوله « **لو أنصفت لم تلم** » أي لأن الحب ليس اختياريًا حتى يلام عليه ، بل هو قهريّ ولا يلام إلا على الأمر الاختياري ، كما قال القائل :

دع عنك تعنيفي ، وذُقْ طعمَ الهوى   فإذا عشقتَ ، فبعدَ ذلك عَنِّفِ

(١١) **عدتك حالي** إلخ : أي جاوزتك حالي ، كما يقول الشخص لغيره : لا أراكَ اللهُ حالي ، ويحتمل أيضًا أنها خبرية ، وعليه فالمراد الإخبار بأنه جاوزته حاله .=

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ ، لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنَّ المحِبَّ عَنِ العُذَّالِ في صَمَمِ (١٢)

إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ في عَذَلٍ
والشَّيْبُ أبعَدُ في نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ (١٣)

= وقوله : « لا سرّي بمستتر عن الوشاة » : السر : ما يكتمه الشخص عن غيره ، والوشاة : جمع واش ، وهو الذي يشي الحديث بين المحب والمحبوب ، أي يزينه ويزخرفه لأجل الإفساد بينهما . قوله : ولا دائي بمنحسم : أي ولا دائي الحاصل بسبب الحب بمنقطع بوصل المحبوب ومؤانسته .

(١٢) « محضتني النصح » إلخ أي : أخلصتَ لي النصح ، وقوله : « لكن لست أسمعه » المنفي إنما هو سماع القبول ، وإلا فقد يسمعه ، وقوله : « إن المحب » إلخ تعليل لقوله لكن لست أسمعه ، وقوله : عن العذال : أي عن نصحهم ، والعذال جمع عاذل ، وهو اللائم في الحب ، والصمم : ضعف في قوة السمع ، فوق الوقر (قال في القاموس المحيط : الوقر ـ بفتح الواو وسكون القاف ـ ثقل في الأذن ، أو ذهاب السمع كله) ، ودون الطرش ، ودون الصَّنج (بفتح الصاد والنون : ذهاب حاسة السمع) ، ولذلك قال الثعالبي : « يقال في أذنه وقر ، فإن زاد فهو صمم ، فإن زاد فهو طرش ، فإن زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صنج » .

(١٣) فكأن السائل قال له : كيف تتهمني في العذل ؟! فقال له : إني اتهمت إلخ ، أي فإذا اتهمت نصيح الشيب في عذله عليَّ في الهوى ، والحال أن الشيب أبعد عن التهم في النصح ، فكيف بالعاذل الذي ليس أبعد عن التهم في النصح ، بل من شأنه أن يُتهم فيه ؟ « نصيح الشيب » أي شيبًا ناصحا ، وإنما كان الشيب ناصحاً ؛ لأنه يدل على قرب الأجل وحصول الموت الموجب لترك دواعي الشباب واشتغال العبد بما يقرِّبه لمولاه زلفى . وقوله : « في عذل » متعلق باتهمت أي اتهمته في لومه عليّ في الهوى ودواعي الشباب ، وقوله : « والشيب أبعد في نصح عن التهم » : أي والحال أن الشيب أبعد عن التهم في النصح .

فـإنَّ أمّـارَتي بِالسُّـوءِ مـا اتَّعَظَـتْ

مِـنْ جَهْلِهَـا بِنَـذيرِ الشَّـيْبِ والهَـرَمِ (١٤)

وَلا أعَـدَّتْ مِـنَ الفِعَـلِ الجَمِيـلِ قِـرَى

ضَـيْفٍ أَمَّ بـرَأْسِي غَـيْرَ مُحْتَشِـمِ (١٥)

لَـوْ كُنْـتُ أعلَـمُ أنِّي مـا أوَقِّـرُهُ

كَتَمْـتُ سِرّاً بَـدا لـِي مِنْـهُ بِـالكَتَمِ (١٦)

---

(١٤) هذا البيت تعليل للبيت قبله . والأمَّارة من أنواع النفس ، وهي التي تأمر بالمخالفة ، فلا يلوح لها طمعٌ إلا فعلته ، ولا برزت لها شهوة إلا قضتها ، ومنها اللّوَّامة : وهي التي ترجع باللوم على صاحبها كثيراً عند الوقوع في المعصية لسابقةِ القضاء ، ومنها المطمئنة : وهي التي اطمأنت للإيمان وللتصديق بوعد الله ، فهي دائماً موفَّقة للطاعة ، مصدِّقة بلقاء الله تعالى . السوء : القبيح . وقوله : « ما اتعظت » خبر إن ، أي ما قبلت الوعظ ، وقوله : « من جهلها » أي من أجل جهلها ، ونذير : إما بمعنى الإنذار فيكون مصدراً ، أو بمعنى المنذِر ، فيكون اسم فاعل .

(١٥) قوله « ولا أعدت » إلخ أي نفسه الأمّارة ، والإعداد : التهيئة ، وقوله : « من الفعل الجميل » أي من الأعمال الصالحة . وقِرى الضيف بكسر القاف : إكرامه ؛ لأنه شبه الشيبَ بالضيف ، في طُروِّه على الشخص بعد أن لم يكن . وقوله ألَمَّ بتشديد الميم : بمعنى نزل ، وقوله برأسي : أي في رأسي ، فالباء بمعنى في ، وقوله غير محتشم : أي غير مستحِي ، فالشيب إذا نزل لا يرتحل إلا بالموت .

(١٦) أعلم : العلم والمعرفة بمعنى واحد ، وقوله : « أنى ما أوقره » : أي أنى ما أعظمه بفعل الجميل وترك القبيح ، وقوله : « كتمتُ سراً » أي أخفيته ، والمراد بالسر الشيب الذي يظهر أولاً ، وقوله : « بدا لي » أى ظهر لى ، وقوله منه : أى من الشيب ، والكَتَم : بفتح التاء نبتٌ يُخلط بالحنّاء ويُخضّب به=

مَـــنْ لِي بِـــرَدِّ جِمـــاحٍ مِـــنْ غَوايَتِهـــا

كـــما يُـــرَدُّ جِمـــاحُ الخيـــلِ بـــاللُّجُمِ (١٧)

فـــلا تَـــرُمْ بالمعـــاصِي كَسْرَ شَـــهْوَتِها

إنَّ الطَّعـــامَ يُقَـــوِّي شَـــهْوَةَ الـــنَّهِمِ (١٨)

والـــنَّفْسُ كالطِّفْـــلِ إنْ تُهْمِلْـــهُ شَـــبَّ عـــلى

حُـــبِّ الرَّضـــاعِ وإنْ تَفْطِمْـــهُ يَـــنْفَطِمِ (١٩)

= الشعر فيبقى لونه . وفي هذا البيت تنبيه على توقير الشيب وقد سمّاه الله تعالى وقارا ، فقد روي أن أوّل مَن رأى الشيبَ إبراهيم ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فقال : ما هذا يا رب ؟ فقال الله تعالى : وقار يا إبراهيم ، فقال : يا ربِّ زدني وقاراً ، فأصبح وقد عمَّه الشيب » ، وفي الحديث القدسي : « الشيب نوري » (في كشف الخفا ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني : « عن أنس ، رفعه : يقول الله عز وجل : « الشيب نوري والنار خَلقي ، وأنا أستحي أن أعذب نوري بناري » .

(١٧) « من لي » إلخ أي : من يتكفل لي إلخ ؟ . وقوله : « برد جماح من غوايتها » أي بصرف قوّةٍ وغلبةٍ ناشئة من ضلالتها ، فالجماح بمعنى القوّة والغلبة ، والمراد برده صرفه ، وغوايتها بفتح الغين المعجمة : بمعنى ضلالتها ، أي جماح ناشئ من غوايتها ، وقوله : « كما يُرد جماح الخيل باللجم » جمع لجام ، أي ردًّ مثل ردّ جماح الخيل باللجم في القوّة والعنف .

(١٨) « فلا تَرُم بالمعاصي ... » : أي لا ترجو ولا تتوقع بتمكينها مما تتمناه من المعاصي دفع شهوتها . شهوة النهم : بتشديد النون وكسر الهاء ، الذي هو شديد الشهوة إلى الطعام ، فتمكينه منه يزيد في شهوته إليه ، وكذلك النفس تمكينها من المعاصي يزيد في شهوتها إليها .

(١٩) كالطفل : شبه النفس بالطفل ، فكما أن الطفل إن تركته على ما ألِفه من الرضاع دام على حبه ، وإن منعته عنه امتنع ، كما ذكره بقوله : « إن تهمله » ، إلخ ، كذلك النفس إن تركتها على ما ألِفته من المعاصي=

فَـاصْرِفْ هَواهـا وحـاذِرْ أنْ تُوَلِّيَـهُ
إنَّ الهَـوَى مـا تَـوَلَّى يُصْـمِ أوْ يَصِـمِ (٢٠)

وَراعِهـا وَهْـيَ في الأعْـمالِ سـائِمَةٌ
وإنْ هِـيَ اسْـتَحْلَتِ المَرْعَى فَـلاَ تُسِـمِ (٢١)

= دامت على حبه ، وإن منعتها عنه امتنعت . وقوله : « شب على » أي كبر ، وقوله : « وإن تفطمه » فطمتِ المرأة الرضيع فطماً من باب ضرب : فصلته عن الرضاع ، فهي فاطمة ، والرضيع فطيم .

(٢٠) قوله « فاصرِفْ هواها » فاصرف النفس عن هواها ، وقوله : « وحاذر أن توليه » أي واحذر أن تعطي هواها الولاية والإمارة عليك ، وقوله : « ما تولى » أي ما صار والياً ، « ما » شرطية ، وقوله : « أو يَصِم » بفتح الياء وكسر الصاد مِن وصمه إذا عابه ، فالمعنى أن الهوى إن ولاَّه الشخص يقتله أو يَعيبه . ولما كان الهوى سبباً للهلاك أجمع على ذمه العارفون ، ووردت بذمه الآيات والأحاديث ، وقال ابن عباس « الهوى إلهٌ يُعبد مِن دون الله » وتلا قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية:٢٣] .

(٢١) « وراعها وهي » إلخ أي لاحظها . **سائمة** : أي كالبهيمة السائمة في الكلأ ، **الأعمال** : الأعمال الصالحة ، **سائمة** : بمعنى آخذة ومشتغلة . « وإن هي استحلت المرعى فلا تسم » بضم التاء وكسر السين ، أي وإن هي وجدت المرعى حلواً فلا تبقها فيه ؛ لأنها لا تميل إلى الطاعة لِذاتها ، بل لغرض فيها ، فتنقلب الطاعة معصية ، بل قد تكون أعظم مفسدةً من المعصيةً ، كما يشير لذلك قول صاحب الحِكَم (هو أحمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله السكندري – رضي الله عنه – من أعلام متصوِّفي القرن السابع الهجري توفي عام ٧٠٩هـ – ١٣٠٩م) : « رُبَّ معصيةٍ أورثت ذلاً وانكسارًا خيرٌ من طاعةٍ أورثت عزًّا واستكبارًا » .

كَـمْ حَسَّـنَتْ لَـذَّةً لِلْمَـرْءِ قاتِلَـةً
مِـنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أنَّ السُّـمَّ في الدَّسَـمِ (٢٢)

واخْشَ الدسـائسَ مِـنْ جُـوعٍ ومِـنْ شِـبَعٍ
فَـرُبَّ مَخْمَصَـةٍ شَرٌّ مَـنَ الـتُّخَمِ (٢٣)

وَاستَفْرِغِ الـدَّمعَ مَـنْ عَـيْنٍ قَـدِ امْـتَلأتْ
مِـنَ المَحـارِمِ والْـزَمْ حِمْيَـةَ النَّـدَمِ (٢٤)

---

(٢٢) «كم» خبرية بمعنى كثيرًا، والتقدير كم مرة، أي كثيرًا من المرات، وقوله: «حسّنت لذة للمرء قاتلة» أي عَدَّت لذة قاتلة حسنة، للمرء: للشخص رجلاً كان أو امرأة، وقد بيَّن وجه كون اللذة قاتلة بقوله «من حيث لم يدر أن السم في الدسم»، الدسم: هو الدهن، وخص السم بالذكر لأنه قاتل، وخص الدسم بالذكر لأنه يعلو الأشياءَ فيستر ما تحته، والمراد بالسم هنا حظ النفس، والمراد بالدسم هنا الطاعة.

(٢٣) أي خفِ المكائد التي تخفيها النفس في الجوع والشبع؛ فالدسائس من الجوع: كالحدَّة وسوء الخلق، والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة. «فرُبَّ مخمصةٍ شرٌّ من التخم» إذ رُبَّ مجاعة مفرطة شر من كثرة الأكل؛ فالعبادة قد لا تحصل بالكلية مع الجوع المفرط، وتحصل مع كثرة الأكل، وإن كان فيها كسل، و«رُب» هنا للتقليل، والمخمصة: المجاعة، والتخم: بضم التاء وفتح الخاء جمع تخمة: وهي فساد المعدة بالطعام.

(٢٤) قوله «واستفرغ الدمع إلخ» أي أفرغ الدمع بالبكاء. وامتلاء العين من المحارم: كناية – عند الفقهاء – عن كثرة النظر بها لما لا يجوز شرعًا، وعند الصوفية وأهل الحب: رؤية الأغيار بها. وكان عليه الصلاة والسلام كثير البكاء. وقوله: «والزم حمية الندم» أي والزم حماية الندم لك عن المحارم، والمراد من الندم التوبة المستكملة للشروط الشرعية، وإنما عبَّر بالندم لأنه=

وخالِـفِ النفْـسَ والشَّيْـطَانَ واعْصِـهِما
وإنْ هُمـا مَحَّضـاكَ النُّصْـحَ فـاتَّهِمِ (٢٥)

وَلا تُطِـعْ مِـنْهُما خَصْـماً ولا حَكَـماً
فأنـتَ تَعْـرِفُ كَيْـدَ الخَصْـمِ والحَكَـمِ (٢٦)

أَسْـتَغْفِرُ اللهَ مِـنْ قَـوْلٍ بـلا عَمَـلٍ
لقَـدْ نَسَـبْتُ بِـهِ نسْـلاً لِـذِي عُقُـمِ (٢٧)

= العمدة في التوبة ، ولذلك ورد : « الندمُ توبةٌ » قال رسول الله ﷺ : « الندم توبة » ، والتائب من الذنب كمن لا ذنبَ له » .

(٢٥) أي إذا أمرتك نفسك والشيطان بشيء ، أو نهتك نفسُك والشيطان عن شيء ، فخالفهما لأنهما عدوّاك ، وإنما قدَّم النفسَ على الشيطان لأنها أضرُّ منه ، وفتنتها أعظم من فتنته . وقوله : « **وإن هما محضاك النصح فاتهم** » أي وإن هما أخلصا لك النصح فيما أبدياه لك ، كأن يقولا لك : تمتع بهذه الشهوة لكي تتوجه إلى الطاعة فارغ القلب ، أو يقولا لك : ارفق على نفسك في العبادة لتدوم عليها ، أو أكثِر من العبادة لتفوز بالدرجات العلى ، أو نحو ذلك ، فاتهمهما بأن تنسبهما إلى الخيانة وعدم الإخلاص .

(٢٦) معنى البيت أنه إذا تخاصم العقل مع النفس ، وجعلا الشيطان حكمًا ، أو تخاصمَ العقلُ مع الشيطان ، وجعلا النفسَ حكمًا ، فلا تطع واحدًا من النفس والشيطان ، لا الخصم ولا الحكم . و**الخصم** هنا قد يكون النفس ، والحكم الشيطان ، وبالعكس . وقوله : « **فأنت تعرف كيد الخصم والحكم** » أي لأنك تعرف كيد الخصم والحكم من الناس ، وكيد النفس والشيطان أشد .

(٢٧) قوله : « **أستغفر الله إلخ** » لمّا كان المصنف معترفًا بأنه غير عامل بقوله ، وقد قال تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:٣] استغفر من ذلك . وقوله : « **لقد نسبت به نسلاً لذي عقم** » ،=

أَمَرْتُـكَ الخَـيرَ ، لَكِـنْ مـا ائْتَمَـرْتُ بِـهِ
وما اسْتَقمتُ فَما قَوْلِي لَـكَ اسْتَقِمِ (٢٨)

ولا تَــزَوَّدْتُ قبْــلَ المــوْتِ نافِلَــةً
ولم أُصَـلِّ سِـوَى فَـرْضٍ ولَمْ أصُـمِ (٢٩)

ظَلَمْــتُ سُــنَّةَ مَــنْ أحْيـا الظَـلامَ إلى
أنِ اشْـتكَتْ قَـدَماهُ الضُرَّ مِــنْ وَرَمِ (٣٠)

= أي لقد نسبتُ بهذا القول نسلاً ، وهو الذرية ، لشخصٍ صاحب عقم ، بضم القاف ، وهو الذي لا يولد لمثله .

(٢٨) قوله : « **أمرتك الخير إلخ** » ومراده بالأمر ما يشمل النهي . والخير : ما له عاقبة محمودة . وقوله « **لكن ما ائتمرت به** » أي لكن ما عملت به . وقوله : « وما استقمت » أي بفعل المأمورات وترك المنهيات . وقوله : « **فما قولى لك استقم** » أي فما ثمرة قولي لك استقم حيث لم أستقم ؟ والاستفهام إنكاريّ بمعنى النفي ، أي لا ثمرة له ولا فائدة له .

(٢٩) المراد بالتزوُّد هنا العمل ، وإنما عبَّر بالتزوُّد نظرًا لكون الموت سفرًا طويلاً محتويًا على الأهوال والمشاقّ ، والسفرُ المذكور يناسبه التزوُّد ، قال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة:١٩٧] ، وقوله : « **نافلة** » أي مستقلة عن الغرض ، وقد اشتهر أن النافلة يُجبر بها ما نقص من الفرائض . وقوله : « **ولم أصلِّ سوى فرضٍ ولم أصم** » إنما خص الصلاة والصوم بالذكر ؛ لأنهما محض عبادة بدنية ، وإنما سكت عن الإيمان لأنه لا يُتَنَفَّلُ به ولأن الذي يصلي الفرض ويصوم الفرض إنما هو المؤمن ، لا الكافر ، فلذلك لم يذكر الإيمان لأنه ثابت في قلبه والحمد لله .

(٣٠) قوله : « **ظلمت سنة من إلخ** » هذا تخلُّص للشروع في المقصود ، وهو مدحه ﷺ ، و **السنة**: لغة الطريقة ، وشرعًا الطريقة المسلوكة في الدين من =

وَشَــدَّ مِــنْ سَــغَبٍ أحْشــاءَهُ وطَــوَى
تحْتَ الحِجـارِةَ كَشْـحاً مُـتْرَفَ الأَدَمِ (٣١)

وراودَتْــهُ الجِبــالُ الشُّــمُّ مِــنْ ذَهَــبٍ
عَــنْ نَفْسِــهِ فَأراهــا أيَّـما شَــمَمِ (٣٢)

= غير افتراض ولا وجوب ، و « مَن » واقعة على النبي ، وهو نبينا ﷺ . وقوله : « أحيا الظلام » أي أنار الليل المظلم بالصلاة ، وقوله : « إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم » ، واشتكاء القدمين كناية عن شدة الألم الحاصل لهما من كثرة القيام ، على وجه المبالغة . والورم : ازدياد الحجم على غير اقتضاءٍ طبيعي ، وقد روى المغيرة أنه قام ﷺ حتى تورمت قدماه ، فقيل له : أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! قال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟! » .

(٣١) الشد : العصْب والربط ، والسغب : الجوع ، و « من » الداخلة عليه للتعليل ، والأحشاء جمع حشى ، وهو كما في الصحاح ما انضمت عليه الضلوع ، وقيل : القلب ، وقيل : الأمعاء ، وفائدة هذا الشد انضمام الأحشاء على المعدة ، فتخمد الحرارة بعض خمود ، وقد روى الشدَّ مسلمٌ عن أنس قال : « جئتُ رسولَ الله ﷺ يومًا فوجدته جالسًا مع أصحابه يحدِّثهم ، وقد عصبَ بطنه بعصابةٍ ، قالوا : مِن الجوع » . وقوله : « وطوى تحت الحجارة كشحًا مترف الأدم » ، الطي : اللف ، والكشح : الخاصرة ، والمترف : الناعم من الترف ، و الأدم : الجلد .

(٣٢) قوله : « وراودته الجبال إلخ » ، المراودة : المطالبة ، يقال راوده : أي طلب منه أن يكون على مراده ، وإسناد المراودة للجبال مجاز ، والمقصود جبال مكة ، كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة ؛ إذ رُوي أن جبريل عليه السلام نزل عليه ﷺ فقال له : إن الله يقرئك السلام ، ويقول لك : أتحب أن تكون لك هذه الجبال ذهبًا وفضة ، تكون معك حيثما=

وأكَّـدَتْ زُهْـدَهُ فيهـا ضَرورَتُـهُ
إنَّ الضَرورَةَ لا تَعْـدُو عَـلَى العِصَـمِ (٣٣)
وكيـفَ تَـدْعُو إلى الـدنيا ضَرورَةُ مَـنْ
لَـوْلاهُ لَمْ تُخْـرَجِ الـدُّنيا مِـنَ العَـدَمِ (٣٤)

= كنت ؟ فأطرق ﷺ ساعةً ، ثم قال : يا جبريل إن الدنيا دارُ مَن لا دارَ له ، ومالُ منْ لا مال له ، يجمعها من لا عقل له » (رواه الإمام أحمد ، والبيهقي عن السيدة عائشة والبيهقي عن عبد الله بن مسعود موقوفًا) ، فقال له جبريل : « ثبتك الله بالقول الثابت » . وقوله **الشم** : أي المرتفعة وهي جمع أشَمّ . وقوله : **« عن نفسه »** أي من أجل نفسه ، وقوله : **« فأراها أيما شمم »** : أي فأراها شممًا أيما شمم ، أي شممًا عظيمًا .

(٣٣) قوله : **« وأكدت زهده فيها إلخ » التأكيد** : التقوية ، و**الزهد** : ترك الشيء وقلة الرغبة فيه ، والضمير المجرور بفي راجعٌ للجبال التي تكون من ذهب ، و**الضرورة** : شدة الحاجة . وقوله : **إن الضرورة إلخ** مستأنف أو تعليل . وقوله : **لا تعدو على العصم** : أي لا تتعدى عليها ، يقال عدا عليه أي تعدَّى عليه ، وفي كلامه حذف مضاف ؛ أي على ذوي العصم أي المعصومين ، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

(٣٤) قوله : **« وكيف تدعو إلخ »** استفهام إنكاري بمعنى النفي ، أي لا تدعو إلخ ، و**الدعاء** : الطلب والميل . وقوله : « إلى الدنيا » متعلق بتدعو ، والدنيا صفة في الأصل ثم نقلت إلى الاسمية ، فجُعلت اسمًا لهذه الدار التي نحن فيها . وقوله : **« لولاه لم تخرج الدنيا من العدم »** ، أي لولا وجوده ﷺ لاستمرت الدنيا على عدمها ، والأصل في ذلك ما رواه الحاكم ، والبيهقي ، من قول الله تعالى لآدم لما سأله بحق محمد أن يغفر له ما اقترفه من صورة الخطيئة ، وكان رأى على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله محمد رسول الله : « سألتني بحقه أن أغفر لك ، وقد غفرتُ لك ، ولولاه ما خَلقتك » فوجود آدم عليه السلام=

مُحَمَّـــدٌ سَــيِّدُ الكَــوْنَيْنِ والثَّقَلَــيْنِ

والفـريقَيْنِ مِــنْ عُــرْبٍ ومِــنْ عَجَـمِ (٣٥)

نَبِيُّنـــا الآمِــرُ النَّــاهِي فـــلا أحَــدٌ

أبــرَّ في قَــوْلِ لا مِنْــهُ ولا نَعَــمِ (٣٦)

هُــوَ الحبيــبُ الــذي تُرْجَـى شَـفَاعَتُهُ

لِكُــلِّ هَــوْلٍ مَــنَ الأهْــوَالِ مُقْـتَحَمِ (٣٧)

= متوقف على وجوده ﷺ ، وآدم أبو البشر ، وأبو البشر إنما خُلقتْ الدنيا لأجله ، فيكون ﷺ هو السبب في وجود كل شيء .

(٣٥) قوله : « **سيد الكونين** » أي أشرف أهل الكونين ، والمراد بالكونين الدنيا والآخرة ، وقوله : « **والثقلين** » أي : الإنس والجن ، وإنما سُميا ثقلين لإثقالهما الأرض ، أو لثقلهما بالذنوب . **والعُرب** بضم العين وسكون الراء لغةٌ في العرب بفتحها . والمراد **بالعجم** : جميع غير العرب .

(٣٦) قوله : « **نبينا إلخ** » ، الإضافة في نبينا لتشريف المضاف إليه ، وقوله : « **الآمِر الناهي** » أي عن الله تعالى ، وقوله : « **فلا أحد أبر في قول لا منه ولا نعم** » أي إذا أمر ونهى ، فلا أحد أصدق منه في الأمر والنهي .

(٣٧) قوله : « **هو الحبيب** » الضمير راجع لمحمد ، أو لنبينا . وهو الحبيب : أي لله أو لأمته لأنه أعظم محب لله ، وأفضل محبوب له ، وهو أيضًا محب لأمته ، ومحبوب لها . وقوله : « **الذي ترجي شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم** » : أي الذي تُتوقع **شفاعته** ، وهي طلب الخير للغير عند كل هول ، **والهول** : هو الأمر المخوف . وله ﷺ شفاعاتٌ ، منها شفاعته في فصل القضاء حين يتمنى الناس الانصراف من المحشر ولو للنار ، لشدة الهول ، وهذه هي الشفاعة العظمى ، وتسمى المقامَ المحمود ؛ لأنه يحمده عليها الأوَّلون والآخرون ، وهي مختصة به ﷺ ، ومنها شفاعته ﷺ في دخول جماعةٍ الجنة بغير حساب ،=

دَعَــا إلى اللهِ فالمستَمْسِــكونَ بِــهِ
مُسْتَمسِــكونَ بِحَبْـلٍ غَـيْرِ مُنْفَصِـمِ (٣٨)

فــاقَ النَّبِيِّــينَ في خَلْــقٍ وفي خُلُــقٍ
وَلَمْ يُــدانُوهُ في عِلْــمٍ ولا كَــرَمِ (٣٩)

وكُلُّهُــمْ مِــنْ رَسُــولِ اللهِ مُلْــتَمِسٌ
غَرْفاً مِـنَ البَحْـرِ أو رَشْـفاً مِـنَ الدِّيَمِ (٤٠)

= ومنها شفاعته ﷺ في جماعةٍ استحقوا النار ، لا يدخلونها ، بل يدخلون الجنة ، ومنها شفاعته ﷺ في جماعة دخلوا النار أن يُخرَجوا منها ، وهذه غير مختصَّة به ﷺ ، بل تكون لغيره أيضًا ، ومنها شفاعته ﷺ في رفع درجات أناسٍ في الجنة ، ومنها شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن بعض الكفار .

(٣٨) قوله « دعا إلى الله إلخ » أي دعا إلى دين الله ، وقوله : « فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم » : المراد من الحبل السبب ، كما هو أحد إطلاقيه ، و**الفصم** بالفاء : القطع من غير إبانة .

(٣٩) قوله : « فاق النبيين إلخ » أي زاد ﷺ على النبيين . « في خلق » بفتح الخاءِ وسكون اللام : وهو الصورة والشكل ، و**في خلق** بضمهما : وهو ما طُبِع عليه الإنسان من الخصال الحميدة ؛ كالعلم ، والحياء ، والجود ، والشفقة ، والحلم ، والعدل ، والعفة ، وأمثال ذلك .

(٤٠) **رسول الله** : هو سيدنا محمد ﷺ ، والمراد من قوله **ملتمسٌ** : آخذ . وقوله : « غرفًا من البحر أو رشفًا من الديم » : أي حالَ كون بعض الملتمسين مغترفا من البحر ، وبعضهم مرتشفا من الديم ، و**الغرف** : مصدر غرف بمعنى أخذ ، والرشف : المص . و**الديم** : جمع ديمة وهي المطر الدائم يومًا وليلة من غير رعدٍ (جمع ديمة ، قال في القاموس : والديمة – بالكسر – مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق) ، والمراد من البحر والديم هنا عِلمُه وحِلمه ﷺ .

وواقِفُــونَ لَدَيْــهِ عِنْــدَ حَــدِّهِمِ
مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ (٤١)

فَهْــوَ الــذي تَــمَّ مَعنــاهُ وصُــورَتُهُ
ثُــمَّ اصْــطفاهُ حَبيبــاً بــارِئُ النَّسَمِ (٤٢)

مُنَــزَّهٌ عَــنْ شريــكٍ في مَحاسِــنِهِ
فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فيه غَيْرُ مُنْقَسِمِ (٤٣)

---

(٤١) معنى كونهم واقفين لديه عند حدهم : أنهم ثابتون عنده ﷺ في العلم والحكم عند الحدّ الذي حدَّه لهم من ذلك فلا يتجاوزونه . وقوله : « من نقطة العلم أو من شكله الحكم » بيانٌ لحدهم ، والمراد من العلم والحكم علمُ الرسول وحكمه كما قال بعض الشارحين ، وقيل : « المراد بهما علم الله وحكمه » ، وإنما خص النقطة بالعِلم والشكلة بالحِكَم لأن النقطة تميز الحروفَ المشتبهةَ الصور ، والعلم خاصَّته التمييز ، والشكلة بها يضاف الحكمُ لصاحبه مع زوال اللبس والاختلال ، والحِكمة فائدتها وضعُ الشئ في المكان الذي يستحقه على أكمل وجه لئلا يختل النظام .

(٤٢) معناه : أي كمالاته الباطنية من الخلق ، والمراد بصورته : صفاته الظاهرية ، وقوله : « ثم اصطفاه حبيبًا بارئ النسم » ، أي ثم اختاره حبيبًا خالق الخلق ، والنسم بفتح النون المشددة : جمع نسمة بفتحات ، وهي الإنسان .

(٤٣) قوله : « منزه إلخ » أي وهو منزه إلخ . وقوله عن شريك : أي عن كل شريك . وقوله : « في محاسنه » أي صورةً ومعنًى ، وقوله : « فجوهر الحسن » إلخ : المراد من جوهر الحسن ذاته وحقيقته ، وقوله : « فيه » أي الكائن فيه ، وقوله : « غيرُ منقسم » : أي بينه وبين غيره لاختصاصه به ، بخلاف يوسف عليه السلام فإنه أُعطي شطرَ الحسن .

دَعْ مـا ادَّعَتْـه النصـارَى في نَبِـيِّهِمِ
واحْكُمْ بما شِئتَ مَدحاً فيهِ واحْتكِمِ (٤٤)

وانْسُبْ إلى ذاتِهِ ما شِئتَ مِنْ شَرَفٍ
وانسُبْ إلى قَدْرِهِ ما شِئتَ مِنْ عِظَمِ (٤٥)

فَـإنَّ فَضْـلَ رَسُـولِ اللهِ لَـيْسَ لَـهُ
حَـدٌّ فَيُعْـرِبَ عَنْـهُ نـاطِقٌ بِفَـمِ (٤٦)

لَـوْ ناسَـبَتْ قَـدْرَهُ آياتُـهُ عِظَـمًا
أحْيا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دارِسَ الرِّمَمِ (٤٧)

---

(٤٤) في هذا البيت إشارة إلى قوله ﷺ: « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح، ولكن قولوا عبد الله ورسوله » (وفي لفظ رواه البخاري: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا عبد الله ورسوله »)، والمراد بما **ادعته النصارى في نبيهم** قولهم بأنه إله، **والنصارى** هم قوم عيسى، وقوله: **« واحكم بما شئت مدحًا فيه »**: أي احكم بما شئت مما يدل على شرفه وعلو شأنه وعظم جاهه من جهة المدح فيه ﷺ ذاتًا وصفاتٍ. وقوله: **« واحتكم »** أي راعِ الحكمة في مدحك له ﷺ.

(٤٥) قوله: **« ما شئت من شرف »** أي الذي شئته من صفات الشرف، وقوله: **« وانسُب إلى قدره ما شئت مِن عِظَم »** أي وانسب إلى كماله الذي شئته من صفات العظم.

(٤٦) هذا البيت تعليل للبيت قبله، فكأنه قال: لأن فضل رسول الله إلخ، وقوله: **« ليس له حد »** أي ليس له غاية ومنتهى. وقوله **يُعرب**: أي يفصح، ومعنى **« ناطق »** متكلم.

(٤٧) قوله: **« لو ناسبت إلخ »**، لو ناسبت آياته قدره في العظم لكان من جملة آياته أن يُحيي اسمهُ دارسَ الرمم حين يدعَى به؛ لأن الواقع أن=

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا العُقُولُ بِهِ
حِرْصاً عَلَيْنا فلم نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ (٤٨)

أعْيا الوَرَى فَهْمُ مَعْناهُ فَلَيْسَ يُرَى
فِي القُرْبِ والبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ (٤٩)

كالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدِ
صَغيرةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ (٥٠)

= قدرُهُ ﷺ أعظم من آياته حتى من القرآن المتلوّ بخلاف القرآن غير المتلوّ ، وهو المعنى القائم بذاته تعالى ؛ فإنه أعظم منه لأن القديم أفضل من الحادث ، والمراد **بآياته** أعلام نبوّته أي دلائلها ، كالمعجزات . وقوله : « **أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم** » أي أحيا الله بسبب اسمه دارس الرمم حين يدعى به ، و « **دارس** » بمعنى مدروس ، **والرمم** : جمع رمة ، وهي الشيء البالي ، والمدروسة : التي زيد في بلائها .

(٤٨) قوله : « **لم يمتحنا إلخ** » أي لم يخبرنا بشيء تعجز عنه عقولنا ، بل أتى بالحنيفية الواضحة ، فالامتحان : الاختبار ، **تعيا** : العيّ بالأمر : العجز عنه ، وعدم الاهتداء لوجهه . **حرصًا** : الحرص على الشيء : شدة الرغبة فيه ، و**الارتياب** : الشك ، و**الهيام** : التحير .

(٤٩) قوله : « **أعيا الورى** » إلخ ، الإعياء : الإعجاز ، و**الورى** : الخلق . وقوله : « **فهم معناه** » أي إدراك حقيقته ﷺ . **ويُرى** بالبناء للمفعول ، وهي بصرية . و « **في** » بمعنى « عن » . و**المنفحم** : العاجز . وحاصل المعنى أنه أعجز الخلق فهم حقيقته فليس يبصر شخص غير عاجز عنه في القرب والبعد منه ﷺ .

(٥٠) قوله : « **كالشمس إلخ** » أي هو كالشمس إلخ ، والمقصود تشبيهه ﷺ بالشمس في أنه لا يخاطب كنهه وحقيقته في حالتي القرب والبعد ، وقوله : « **وتكل الطرف** » أي وتعيي البصر وتضعفه لقوة شعاع نورها ، وقوله : « **من أمم** » أي في حالة القرب ، والأَمَم بفتح الهمزة : القرب.

وكَيْـــف يُــدْرِكُ في الـــدُّنيا حقيقَتَـــهُ
قَـــوْمٌ نِيـــامٌ تَسَـــلَّوْا عَنْـــهُ بـــالحُلُمِ (٥١)

فَمَبْلَـــغُ العِلْـــمِ فِيـــهِ أَنَّـــهُ بَشَرٌ
وأَنَّـــهُ خَـــيْرُ خَلْـــقِ اللهِ كُلِّهِـــمِ (٥٢)

وَكُـــلُّ آيٍ أَتَـــى الرُّسْـــلُ الكِـــرامُ بهـــا
فـــإنما اتَّصـــلتْ مِـــنْ نـــورِهِ بِهِـــمِ (٥٣)

فإنَّـــه شَـــمْسُ فَضْـــلٍ هُـــمْ كواكِبُهـــا
يُظْهِـــرْنَ أنوارَهـــا للنـــاسِ في الظُّلَـــمِ (٥٤)

---

(٥١) كيف : للاستفهام الإنكاري ، وهو بمعنى النفي ، أي لا يدرك إلخ ، واحترز بقوله « في الدنيا » عن الآخرة ، فإنهم يدركون فيها حقيقته ﷺ ، والمراد بحقيقته ﷺ قدرُه ومنزلته ، وقوله : « قوم نيام » أي قوم غافلون عن النظر في حقيقته ، والمراد بالقوم جميع الورى ، وقولِه : « تسلوا عنه بالحلم » بضم اللام : أي اكتفوا عن النظر في حقيقته تفصيلاً بما يشبه الحلم .

(٥٢) ما يبلغه علم الناس في حقه ﷺ : أنه بشر ، لا إلهٌ ولا ملَك ، وأنه خير مخلوقات الله كلهم إنسًا وجنًا وملكًا وغيرهم . والبشر : اسم لبني آدم ، سُموا بذلك لبدوِ بشرتهم ، وهي ظاهر الجلد . وخير : أصله « أخير » حُذفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال . والخلق : بمعنى المخلوقات .

(٥٣) قوله : « وكلُّ آي أتى الرسل إلخ » ، جمع آية بمعنى المعجزة ، والرسل : جمع رسول ، والكرام : جمع كريم ، والمراد بنوره معجزاته ، ويصح حمله على النور المحمدي الذي هو أصل المخلوقات كلها .

(٥٤) أي فإنه كالشمس في الفضل ، وقوله : « هم كواكبها » أي الرسل كواكب الشمس ، أي مثل كواكبها ، وكما أن الشمس إذا بدت لم يبق أثر للكواكب ، فكذلك شريعته ﷺ لما بدت نسخت غيرَها من سائر الشرائع .

أَكْـرِمْ بِخَلْـقِ نَبِـيٍّ زانَـهُ خُلُـقٌ
بالحُسْـنِ مُشْـتَمِلٍ بـالبِشْرِ مُتَّسِـمِ (٥٥)

كـالزَّهْرِ في تـرَفٍ والبَـدْرِ في شَرَفٍ
والبَحـرِ في كَـرَمٍ ، والـدَّهْرِ في هِمَـمِ (٥٦)

كأَنَّـهُ وهْـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جَلالتـهِ
في عَسْـكرٍ حِـينَ تَلقـاهُ وفي حَشَـمِ (٥٧)

---

(٥٥) قوله : « أكرم بخلق نبي إلخ » أي ما أكرم خلق نبي إلخ ، وهو الخلق بفتح الخاء وسكون اللام ، وقوله : « زانه خلق » أي حسّنه خلق بضم الخاء واللام ، بمعنى زاده حسنًا . وقوله : « بالحسن مشتمل بالبشر متسم » أي متصف بالحسن ، فاشتماله به من اشتمال الموصوف بالصفة ، متصف بالبشر ، وهو بكسر الباء وسكون الشين المعجمة : بشاشة الوجه وطلاقته . وحاصلُ المعنى : ما أحسن صورة نبي حسّنه خلقٌ ، متصف بالحسن ، متصف بالبشاشة وطلاقة الوجه .

(٥٦) الزهر : نُور النبات بفتح النون ، والترف : بفتح التاء والراء : النعومة ، والبدر : هو القمر ليلة كماله ، وهي ليلة أربعة عشر . والشرف بفتح الشين والراء : العلوّ . وكرم البحر مذكور في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ ، والدهر : الزمن ، والهمم : جمع همة وهي العزم على الشيء والإرادة له .

(٥٧) وتقدير البيت : كأنه حين تلقاه وهو فردٌ مثلُ حاله وهو محاط بجيشه وحشمه ، وذلك من مهابته وجلالته : الجلالة : العظمة ، والعسكر : الجيش ، والحشم : (بفتح الحاء والشين المعجمة) : الخدم .

كـأنّما اللُّؤْلـؤُ المكْنـونُ في صَـدفٍ
مِـنْ مَعْـدِنَيْ مَنْطِـقٍ مِنـهُ ومُبْتَسَـمِ (٥٨)

لا طِيـبَ يَعْـدِلُ تُرْبـاً ضَـمَّ أعْظُمَـهُ
طُـوبَى لِمُنتَشِـقٍ مِنْـهُ ومُلْتَـثِمِ (٥٩)

أبـانَ مَوْلِـدُهُ عَـنْ طِيـبِ عُـنْصُرِهِ
يـا طِيـبَ مُفْتَـتَحٍ مِنْـهُ ومُخْتَـتَمِ (٦٠)

---

(٥٨) شبه اللؤلؤ المكنون في صدفه بكلامه وثغر ﷺ اللذين يبرزان من معدني منطقه ومبتسمه ، و**اللؤلؤ** : هو الدر المسمى بالجوهر ، و**المكنون** : المصون ، و**الصدف** : المحار الذي يتولد فيه ، وهو وعاء له يحفظه حتى ينشقَّ عنه ، و**المنطق** : محل النطق ، و**المبتسَم** بفتح السين : محل الابتسام .

(٥٩) لما مدحه ﷺ بما اتصف به من المحاسن قبل مفارقته الدنيا ، مدحه بما اتصف به من المحاسن بعدها ، و**الطيب** : ما يُتطيب به من مسك ونحوه ، و**الترب** بسكون الراء : لغة في التراب ، و**الضم** : الجمع ، و**الأعظم** : جمع عظم ، و**طوبى** : إما مصدر بمعنى التطيب أو اسم لشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها . **وحاصل المعنى** : لا طِيب يساوي التراب الذي جمع الجسد الشريف ، وهو تراب قبره ﷺ ، ولما كان الطيب يستعمل على وجهين : تارة يستعمل بالشم ، وتارة يستعمل بالتضمخ ، أشار للأول بقوله : « منتشق » وللثاني بقوله : « ملتثم » ، والمراد **بالملتثم** هنا المعفر موضع اللثام ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « القبر أوّل منزل من منازل الآخرة ؛ فإما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار » ولا شك أن قبره ﷺ روضة من رياض الجنة بل أفضلها ، وقد قال أيضا ﷺ : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة » .

(٦٠) **مولده** : يصلح لأن يراد به الولادة أو زمانها أو مكانها ، و**الطيب** : الخلوص عما لا ينبغي في النسب ، و« **العنصر** » بضم العين المهملة وسكون النون=

يَـوْمٌ تَفَـرَّسَ فيـهِ الفُـرْسُ أَنَّهُمُـوا
قَـد أُنْـذِروا بِحُلـولِ البُـؤْسِ والنِّقَـمِ (٦١)

وبـاتَ إيـوانُ كِسْرَى ، وَهْـوَ مَنْصَـدِعٌ
كَشَمْلِ أَصْحابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ (٦٢)

= وضم الصاد هو الأصل ، والمراد به آباؤه الذين تناسل هو منهم . والمراد **بالمفتتح** بفتح التاءين : مَن فوق آدم عليه السلام ، وبالمختتم كذلك أبوه ﷺ عبد الله ، خلافاً لما قاله بعض الشارحين من أن المراد بالمفتتح هاشم ، وبالمختتم النبي ﷺ . ومن آيات مولده ﷺ ما ذكروه عن أمه أنها قالت : « لقد أخذني الطلق ، وإني لوحيدة في المنزل ، وعبد المطلب في طوافه يوم الإثنين ، فسمعت وجبة (أي سقطة) هالتني ، ورأيت كأن جناح طير أبيض مسح فؤادي ، فذهب رعبي وكلّ وجع أجده ، وكنتُ عطشى فإذا بشربة بيضاء ، فشربتها ، فأصابني نور عالٍ » إلى آخر الحديث ، وقد ذكره بطوله القسطلاني .

(٦١) **تفرس فيه الفرس** : أي ظهر لهم بطريق الفِراسة بكسر الفاء ، وهي قوةٌ يدرك بها الإنسان المعاني اللطيفة بسبب المخايل الظاهرة . و**الفرس** : بضم الفاء وسكون الراء أهل مملكة فارس ، وكانوا مجوساً يعبدون النار بعد رفع كتابهم حين بدّلوه ، وإنما سُمُّوا فرساً لأنه ولد لأبيهم بضعة عشر رجلاً ، كلٌّ منهم شجاعٌ فارس ، فسُمُّوا الفرسَ لذلك . وقوله : **« أنهم »** بالإشباع ، وقوله : **« قد أنذروا »** أي أعلموا بالبناء للمجهول ، وقوله : **« بحلول البؤس والنقم »** أي بنزول البؤس والنقم ، و**البؤس** : هو الشدة المؤثرة في القلب الهم والحزن ، و **« النقم »** جمع نقمة وهي العقوبة .

(٦٢) أي وبات في ليلة ولادته ﷺ إيوان كسرى إلخ ، **والإيوان** : بناءٌ يُبنى طولاً غير مسدود الوجه ، يُعده الملك لجلوسه فيه لتدبير ملكه . و**كسرى** بكسر الكاف : لقبٌ لكل مَن ملك الفرس ، وقوله **« وهو منصدع »** أي والحال أنه منشق شقًّا بيِّنا أشرف به على الهدم , ومع انصداعه سقط منه أربع عشرة شرّافة من شرّافاته , وكانت اثنتين وعشرين . وقوله : **كشمل أصحاب كسري** بفتح الشين أي حالهم ، وقوله **« غير ملتئم »** خبر بات .

والنـارُ خامِـدَةُ الأنْفـاسِ مِـنْ أسَـفٍ

عَلَيْهِ ، والنَّهْرُ ساهِي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ (٦٣)

وِســاءَ ســاوَةَ أنْ غاضــتْ بُحَيْرَتُهــا

ورُدَّ وارِدُهــا بــالغَيْظِ حِـينَ ظَمِـي (٦٤)

كــأنَّ بالنــارِ مــا بِالمــاءِ مِــنْ بَلَــلٍ

حُزْنـاً ، وبالماءِ ما بِالنَّارِ مِنَ ضَرَمِ (٦٥)

---

(٦٣) النار : هي نار الفرس التي كانوا يعبدونها ، ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام . والأنفاس : جمع نفس بفتح الفاء ، والمراد به هنا لهب النار ، وقوله : « من أسف » أي من أجل أسف أي شدة الحزن ، « عليه » : جوّز بعض الشارحين أن يكون راجعًا إلى النبي ﷺ . وقوله : « والنهر ساهي العين » : المراد بالنهر نهر الفرات ، والمراد بكونه ساهي العين : أنه ساكن العين التي هي مادته عن الجري ، ويحتمل أن في الكلام استعارة بالكناية ، فيكون قد شبه النهر بإنسان ساهي العين . وقوله : « من سدم » أي من أجل سدم ، فمن للتعليل ، والسدم بفتح السين والدال : الحزن .

(٦٤) قوله : « وساء ساوة » إلخ أي وساء أهلَ ساوة إلخ ، وساوة اسمٌ لمدينة من مدن الفرس . غاضت : غار ماؤها وذهب بالمرة ، والباء في قوله : « بالغيظ » للملابسة أو المصاحبة . وحاصل المعنى : وأحزن أهلَ المدينة المسماة بساوة أمران : أحدهما غيْضُ مائها ، والثاني ردّ الذي يَردها ليستقي منها بالغيظ حين عطش .

(٦٥) قوله : « كأن بالنار » : والأصل كأن ما بالماء بالنار ، وما اسم موصول بمعنى الذي ، من بلل : بيان لها . وقوله : « حزنا » أي للحزن ، والضرم : الالتهاب . وحاصل المعنى أن النار التي خمدت تلك الليلة صارت كأن بها ما بالماء من البلل ، فصارت مبتلة لحزنها ، وأن الماء الذي غاض تلك الليلة صار كأن فيه ما بالنار من الضرم لحزنه أيضًا .

وَالجِـــنُّ تَهْتِـــفُ وَالأَنْـــوارُ سَـــاطِعَةٌ

وَالحَقُّ يَظْهَـرُ مِـنْ مَعْنًـى وَمِـنْ كَلِـمِ (٦٦)

عَمُـــوا وَصَـــمُّوا فَـــإِعْلانُ البَشَـــائِرِ لَمْ

تُسْـــمَعْ ، وبارِقَـــةُ الإِنْـــذارِ لَمْ تُشَـــمِ (٦٧)

---

(٦٦) أي وصارت الجن تهتف في الجبال والأودية ، والجن : هم أولاد إبليس ، كما أن البشر أولاد آدم ، وقيل : الجن أولاد الجان ، فإبليس أبو الشياطين ، والجان أبو الجن ، والقول الأوّل أقوى [1] ، والهتف : قيل الصوت مطلقاً ، وقيل الصوت الخفي . « والأنوار ساطعة » أي والأنوار التي خرجت معه ﷺ عند ولادته لامعةً ظاهرة ، ففي الحديث عن آمنة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : « لما ولدته خرج من فرجي نورٌ أضاء له قصور الشام ، فولدتُه نظيفًا ما به قذر » . وقوله : « والحق يظهر من معنى ومن كلم » أي والحق الذي هو أمرُه ﷺ من نبوّته ورسالته يظهر مِن معنى كالأنوار ، ومن كلم كهتف الجن .

(٦٧) عموا وصموا إلخ : الضمير فيها راجع للكفار ، لكونهم لم ينتفعوا بما شاهدوه من المعنى ، ولا بما سمعوه من الكلم . وقوله : « فإعلان البشائر لم تسمع » أي فإظهار البشائر به ﷺ كهتف الجن لم تُسمع لهم سماعَ قبول ، وقوله : « وبارقة الإنذار لم تشم » ، أي ولامعة الإنذار به ﷺ ، أي تخويفهم به ، كالأنوار لم تُنظر لهم نظر قبول ، يقال شام البرق : نظر إليه .

---

(١) الأصناف ثلاثة : بنو آدم ، والجن ، والملائكة : قال رسول الله ﷺ : « خُلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخُلق آدم مما وُصف لكم » رواه الإمام أحمد والإمام مسلم ، وليس هناك صنف رابع اسمه الشياطين ، وإنما هم من ذرية إبليس لعنه الله ، ولعن كافرهم معه ، والجن أجناس وقبائل كما أن بني آدم أجناس وقبائل .

مِـنْ بَعْـدِ مـا أَخْبرَ الأَقْـوامَ كـاهِنُهُمْ
بِــأَنَّ ديــنَهُمُ المُعْــوَجَّ لَمْ يَقُــمِ (٦٨)

وبَعْـدَ مـا عـايَنوا في الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ
مَنْقَضَّةٍ وِفْقَ مـا في الأرْضِ مِنْ صَنَمِ (٦٩)

حَتَّى غَـدا عَنْ طريـقِ الـوَحْيِ مُنْهَزِمٌ
مِـنَ الشَـياطينِ يَقْفُـو إثْـرَ مُنْهَـزِمِ (٧٠)

---

(٦٨) قوله : « من بعد ما أخبر » أي من بعد الإخبار ، والكاهن : من كان له تابعٌ من الجن يخبره بخبر السماء ، وقوله : « بأن دينهم المعوج لم يقم » ، أي بأن ما هم عليه من الدين المعوج ، لاشتماله على عبادة الأصنام ، لا قيام له ، مع وجوده ﷺ .

(٦٩) قوله : « وبعد ما عاينوا » ، والتقدير عاينوه أي شاهدوه وأبصروه ، وقوله : « في الأفق » ، والمراد به هنا السماء : لا حقيقته ، التي هي أطراف السماء المماسة للأرض لعدم وجود الشهب في ذلك ، وقوله : « من شهب » جمع شهاب ، وهو شعلة من نار ساطعة ، وقوله : « منقضة » أي ساقطة من السماء على الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع من الملائكة ليلة ولادته ﷺ . وقوله : « وفق ما في الأرض » أي مثل ما في الأرض في الانقضاض والسقوط . وقوله : « من صنم » بيان لها ، والصنم : الوثن ، وقيل : الصنم ما كان من حجر ، والوثن ما كان من غيره كنحاس .

(٧٠) قوله : « حتى غدا » إلخ أي ولم تزل الشهب تنقضُّ إلى أن غدا إلخ ، وغدا : بمعنى صار ، وقوله « عن طريق الوحي » طريق الوحي : هو السماء . والوحي : الكلام الخفيّ ، والمنهزم : الهارب ، وقوله : « من الشياطين » بيانٌ لمنهزم ، وقوله : « يقفو إثر منهزم » أي يتبع أثر هارب آخر . وحاصل المعنى : ولم تزل الشهب تنقضُّ إلى أن صار هارب من الشياطين عن السماء التي هي طريق الوحي يتبع أثرَ هاربٍ آخر ، وهلم جرًّا .

كـــأَنَّهُمْ هَرَبًـــا أبطـــالُ أَبْرَهَـــةٍ

أَوْ عَسْكَرٌ بـالحَصَى مِـنْ راحَتَيْـهِ رُمِـي (٧١)

نَبْــذاً بِــهِ بَعْــدَ تَسْــبيحٍ بِبَطْـنِهِما

نَبْـذَ المُسَــبِّحِ مِــن أحشــاءِ مُلْــتَقِمِ (٧٢)

جــاءتْ لِدَعْوَتِــهِ الأشْــجارُ ســاجِدَةً

تَمْشِي إليــهِ عــلى ســاقٍ بــلا قَــدَمِ (٧٣)

---

(٧١) قوله : « **كأنهم هرباً** » إلخ الضمير للشياطين . و**الأبطال** : جمع بطل ، وهو الشجاع القوي جداً . و**أبرهة** : بالصرف للضرورة الشعرية : ملك اليمن . و**العسكر** : الجيش ، و**الحصى** : حجارة صغيرة صلبة . و**الراحتان** : بطنا الكف . ورمي الحصى كان في غزوة بدر .

(٧٢) قوله : « **نبذًا به** » إلخ أي نبذه ﷺ نبذًا إلخ ، وقوله : « **به** » أي بالحصى ، الحصى المرمي به سبح في كفيه ﷺ . وقوله : « **نبذ المسبح من أحشاء ملتقم** » أي كنبذ المسبح ، الذي هو يونس عليه السلام ، من أحشاء الملتقم له ، و**الأحشاء** : ما انضمت عليه الأضلاع ، وقيل : الأمعاء . و**الملتقم له** هو الحوت ، قال الله تعالى : ﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الصافات] .

(٧٣) قوله : « **جاءت لدعوته الأشجار إلخ** » أي أتت لطلبه الأشجار إلخ ، وقوله : « **ساجدة** » ، والمراد بالسجود هنا معناه اللغوي ، وهو الخضوع ، و**الساق** : ما تحت الفروع من الشجرة ، وقوله : « **بلا قدم** » صفة للساق ، أو متعلق بتمشي ، وأشار بذلك لما رُوي أن أعرابيًا سأل النبيَّ ﷺ آية ، فقال له : قل لتلك الشجرة : رسول الله يدعوكِ ، فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها ، حتى قطعت عروقها ، ثم جاءت تجر عروقها في الأرض ، فوقفت بين يديه ، وقالت : السلام عليكَ يا رسول الله ، قال الأعرابي : مُرها فلترجع إلى منبتها ، فأمرها فرجعت ، ودلّتْ عروقها في منبتها فاستوت فيه (١) .

---

(١) القصة بطولها في كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض رحمه الله تعالى في فصل المعجزات .

كـأنَّما سَـطَّرَتْ سَـطْراً لِمـا كتبَـتْ

فُروعُهـا مِـنْ بَـديعِ الخَـطِّ في اللُّقَـمِ (٧٤)

مِثْـلَ الغَمامَـةِ أَنَّـى سـارَ سـائِرَةٌ

تَقِيـهِ حَـرَّ وَطِـيسٍ لِلهَجِـيرِ حَمِـي (٧٥)

---

(٧٤) المعنى : « كأنما سطرت » تلك الأشجار في حال مشيها سطراً للذي كتبته فروعها ، وهو الخط البديع أي الذي لم يُعهد مثله ، المرسوم في اللقم ، اللقم : بفتح اللام والقاف : وسط الطريق لكونها مشت مشي استقامة .

(٧٥) قوله : « مثل الغمامة » إلخ أي : هي مثل الغمامة : السحابة . وقوله : « أنّى سار سائرة » أي في أي موضع سار هي سائرة ، وقوله : « حر وطيس » أي حر الشمس الشبيهة بالوطيس في الحرارة وقوله : « للهجير » أي عند الهجير ، والهجير والهاجرة بمعنى واحد : وهو وسط النهار إذا كان حارًّا . وقوله : « حمي » يصح جعلُه فعلاً ماضيًا فتكون الجملة صفة لوطيس ، أو في موضع الحال من الهجير ، أي حال كونه قد حمي ، ويصح جعله اسمَ فاعل بمعنى حام . وهذا البيت إشارة إلى ما رُوي من أنَّ أبا طالب خرج إلى الشام ومعه النبي ﷺ في أشياخ من قريش ، إلى أن أشرفوا على بحيرا الراهب ، وكان في صومعته ، فنزلوا عنده وحطُّوا رحالهم ، وكانوا يمرون به قبل ذلك فلا يخرج إليهم ، وفي هذه المرة خرج إليهم ، وجعل يتخللهم حتى جاء للنبي ﷺ فقال : هذا سيد العالمين هذا رسول الله الذي يبعثه رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ قريش : وما أعلمك بهذا ؟ فقال : إنكم مِن حين أشرفتم مِن مكة والغمامة تظلله فوق رأسه .

أَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ المُنْشَقِّ إنَّ لَهُ

مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرورَةَ القَسَمِ (٧٦)

وما حَوَى الغارُ مِنْ خَيْرٍ ومِنْ كَرَمٍ

وكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي (٧٧)

---

(٧٦) قوله : « أقسمت بالقمر » إلخ أي أقسمت برب القمر إلخ ، وقوله : « المنشق » أي الذي انشق آيةً له ﷺ ؛ لأن أهل مكة سألوه آية فأراهم انشقاق القمر فلقتين ، فكانت فلقة فوق الجبل وفلقة دونه ، فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا » ، فقال كفار قريش : قد سحرَنا محمد ، فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى يظهر هل رأوا مثل هذا ، فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقًا ، فقال كفار قريش : هذا سحرٌ مستمر ، فنزل قوله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[1][القمر:١ ،٢] ، والمراد بالنسبة : المناسبة والمشابهة في الانشقاق ، وأما انشقاق قلبه الشريف فقد وقع أربع مرات ، وقد جمعها بعضهم في قوله :

وشُقَّ صدرُ المصطفى وهو في   دار بني سعدٍ بلا مرية
كشقِّه وهو ابن عشر ، ثم في   ليلةِ معراج ، وعند البعثة

وقوله : « مبرورة القسم » أي أن القسم عليها مبرور فيه ، يقال برَّ في يمينه إذا صدق فيها .

(٧٧) الغار : ثقب في الجبل ، وكان في جبل ثور بأسفل مكة ، وقوله : « من خيرٍ ومن كرمٍ » بيان لما حوى الغار ، وكلٌّ منهما لكل من النبي ﷺ=

---

(١) وانشقاق القمر له ﷺ لا يعارض فيه إلا مكابر ؛ لأن الحديث مروي في أغلب كتب الحديث ، وأولها البخاري ، كما ذكر ذلك صاحب « الشفا » ، والقرآن صريح في ذلك .

فالصِّــدْقُ في الغــارِ والصِّــدِّيقُ لَمْ يَرِمـا

وهُــمْ يَقولــونَ مـا بالغـارِ مِـن أَرِمِ (٧٨)

ظَنُّـوا الحَــمامَ وَظَنُّـوا العَنْكَبـوتَ عَـلَى

خَــيْرِ البَرِيَّــةِ لَمْ تَنْسُــجْ وَلَمْ تَحُــمِ (٧٩)

= ومن أبي بكر ، ويحتمل أن الأوّل للنبي ﷺ ، والثاني لأبي بكر ، وعلى هذا فإنما خصّه بالكرم لأنه آثر رسولَ الله ﷺ بنفسِهِ وماله ، ولذلك لما أتيا إلى الغار تقدَّم أبو بكر في الدخول لاحتمال أن يكون فيه ما يؤذي ، فيتلقاه عن رسول الله ﷺ . وقوله : « وكل طرف » إلخ أي والحال أن كل طرف إلخ ، فالواو للحال ، والطرْف بسكون الراء هو البصر . قوله « عنه » أي عن ما حوى الغار ، وقوله : « عمي » يحتمل جعله فعلا ، وجعله اسمًا . وقد لبث النبي وأبو بكر في الغار ثلاث ليال ، وجاء الكفار حواليْ الغار ينظرون ، فأعماهم الله تعالى عنهما .

(٧٨) قوله : « فالصدق » إلخ أي فذو الصدق ، أو يُؤول الصدق بالصادق ، وقوله « والصديق » : أي في الغار ، وقوله « لم يرما بكسر الراء » أي لم يبرحا ، وأصله يريما ، حُذفت منه الياء . وقوله « وهم يقولون » أي والحال أنهم يقولون إلخ ، والضمير راجع للكفار . « ما بالغار من أرم » ، وأرم بفتح الهمزة وكسر الراء بمعنىً واحد ، أي ليس في الغار شيء .

(٧٩) قوله « ظنوا الحمام » إلخ هذا البيت كالتعليل لما قبله ، كما علمت ، وقوله « على خير البرية » ، البرية : الخلق ، وخيرهم : محمد ﷺ ، وقوله « لم تنسج » بكسر السين وضمها راجع للعنكبوت ، وقوله « لم تحم » بضم الحاء راجع للحمام ، وسببُ ظنهم ذلك أن هـذين متى أحسّا بالإنسان فرّا منه ، ولم يعلموا أن الله تعالى يحفظ من شاء من عباده بما شاء من خلقه .

وِقايــةُ الله أغْنَــتْ عَــنْ مُضــاعَفَةٍ

مِنَ الـدروعِ وَعَنْ عـالٍ مِنَ الأُطُـمِ (٨٠)

مـا ضـامَنِي الـدَّهْرُ يومـاً واستَجَرْتُ بِـهِ

إلاَّ ونِلْــتُ جِــواراً مِنــهُ لَمْ يُضَــمِ (٨١)

ولا الْتَمَسْـتُ غِنَـى الـدارَيْنِ مِنْ يَـدِهِ

إلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ (٨٢)

---

(٨٠) قوله « وقاية الله » إلخ أي حِفظُ الله لهما من الكفار أغناهما عن مضاعفةٍ من الدروع بأن يلبس الشخصُ درعًا فوق درعٍ للحفظ من العدو ، أو أن تنسج الدرع حلقتين ، وقوله « وعن عالٍ من الأطم » أي : وأغنت عن عالٍ من الحصون .

(٨١) قوله « ما ضامنى الدهر يومًا » إلخ أي ما ظلمني الدهر في يوم إلخ ، وقوله « واستجرت به » أي طلبت منه أن يجيرني من ذلك ، وقوله « إلا ونلت جوارًا منه » أي إلا وأُعطيت جوارًا بكسر الجيم وضمها أي حِمًى وحفظًا ، وقوله « لم يُضم » بالبناء للمجهول أي لم يُحتقر ، بل يُحترم .

(٨٢) « ولا التمست » : الالتماس : الطلب بخضوع وذلة . وقوله « غنى الدارين » : أي داريْ الدنيا والآخرة ، والغنى في الأولى بالكفاية ، وفي الثانية بالسلامة من العذاب . وقوله « من يده » أي من نعمته ﷺ ، وقوله « إلا استلمت » أي إلا أخذت ، وقوله « الندى » بفتح النون مع القصر هو العطاء والكرم ، وقوله « من خير مستلَم » بفتح اللام ، أي من خير مستلَمٍ منه ، وإنما كان ﷺ خير مستلم منه لأنه لا يردّ سائله .

لا تُنْكِرِ الـوَحْيَ مِـنْ رُؤيـاهُ ؛ إنَّ لَـهُ
قَلْبًـا إذا نامَـتِ العَيْنـانِ لَمْ يَـنَمِ (٨٣)

وَذاكَ حِـينَ بُلُـوغٍ مِـنْ نُبُوَّتِـهِ
فَلَـيْسَ يُنْكَـرُ فيـهِ حـالُ مُحْتَلِمِ (٨٤)

تَبـارَكَ اللهُ مـا وَحْـيٌ بِمُكْتَسَـبٍ
ولا نَبِـيٌّ عَـلَى غَيْـبٍ بِمُـتَّهَمِ (٨٥)

---

(٨٣) أي لا تنكر الوحي حال كونه مبتدأً مِن رؤياه في النوم ؛ فإن بدء الوحي كان بالرؤيا الصالحة في النوم ، وكان ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . وقوله « إن له قلبًا » إلخ تعليل لما قبله ، أي إن له ﷺ قلبًا له اليقظة الدائمة ، وقد ورد في الصحيحين : « إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي » .

(٨٤) قوله « وذاك » : اسم الإشارة راجع للوحي من رؤياه في النوم ، وقوله « حين بلوغ من نبوّته » أي حين وصول إلى نبوّته . والمراد بحال المحتلم : الوحي من رؤياه في النوم ؛ لأن المحتلم هو النائم ، وحاله : ما يراه في نومه ، والحاصل أن ذلك إنما كان في ابتداء النبوة ، وقد نُبِّيء على رأس أربعين سنة ، وذلك حدُّ مبدأ النبوة .

(٨٥) تبارك الله : تنزه الله وتعالى وارتفع عما يقوله الكافرون علوًّا كبيرًا ، وقوله « ما وحيٌ بمكتسب » أي ليس وحي ، وإن قلّ ، بمكتسب لأحد بسعيه فيه ، فالذي عليه أهل الحق أن الوحي ليس مكتسبًا ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ=

= ﴿ تَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1] [الأنعام:١٢٤] . وقوله : « ولا نبي على غيب بمتهم »
أي ولا نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمتهم على إخبار بغيب ، أي على الإخبار بأمر غائب ؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب ، كسائر المعاصي ، ولا يُرَدُّ بقوله تعالى : ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح:٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴾ [الشرح:٢] ، ونحو ذلك ؛ لأن ما يقع منهم من باب « حسناتُ الأبرار سيئات المقرَّبين » ، وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٍ ﴾[2] [التكوير:٢٤] أي بمتهم ، وإلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣، ٤] ، والحاصل : أن الأنبياء معصومون من الكبائر وصغائر الخسة بإجماع ، فأما قصة آدم ، وهي أنه أكل من الشجرة ، وقد نهاه الله عنها ، فمحمولة على أنه تأوّل النهي ، مع أنه وإن كان منهيًّا ظاهرًا فهو مأمور باطنًا لحكمةٍ يعلمها الله تعالى ، وأما قول إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام « هذا ربي » فقد ذكره مجاراة لهم ، أي هذا ربي بزعمكم ، وأما همُّ يوسف بزليخا فهو أمرٌ جِبليّ لا اختياري حتى يكون مذمومًا ، والرغبة في النساء محمودة ، إذ عدمُها يدل على العُنَّة ، وهي نقيصة ، ولما همَّ يوسف بمقتضى الجبلة امتنع لكونه رأى برهان ربه : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ ، وأما قصة داود – عليه الصلاة والسلام – وهي أنه خطرَ بباله أنه إن مات وزيره في الحرب تزوّج بزوجته ، لِما علم من حسنها ، فلا تَرِدُ أيضًا لأن ما وقع منه ليس معصية ، لكنه غير لائق بمقامه ، ولذلك عوتبَ عليه ، وبكى حتى نبت العشب من دموعه .

---

(١) وقوله جل وعلا ﴿ يَجْعَلُ ﴾ قاض بأنها غير مكتسَبة ، وإنما هي جَعْلٌ من الله تعالى وتخصيص لشخص معين لا يصلحُ غيره .
(٢) ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى ﴿ بظنين ﴾ بالظاء هو إحدى القراءات وأشهرها بالضاد .

كَـمْ أبـرأَتْ وَصِـباً بـاللَّمْسِ راحَتُـهُ
وأطْلقَـتْ أرِبـاً مِـنْ رَبْقَـةِ اللَّمَـمِ (٨٦)

وأحْيَـتِ السَّـنَةَ الشَّـهْباءَ دَعْوَتُـهُ
حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً في الأعْصُرِ الدُّهُمِ (٨٧)

---

(٨٦) قوله « كم أبرأت » إلخ أي كثيرًا من المرات أبرأت إلخ ، وقوله « وصِبًا » بكسر الصاد : أي مريضًا ، وقوله « باللمس » أي بسبب اللمس ، وأشار بذلك إلى ما روي من أن عين قتادة أصيبت يوم أحد ، ووقعت على وجنته ، فأتى رسولَ الله ﷺ وقال له : إن لي امرأة أحبها ، وأخشى أنها إن رأتني على هذه الحالة قذرتني ، وارتفع حبي من قلبها ، فأخذ النبي ﷺ عينه بيده ، وردها إلى موضعها وقال : اللهم أكسبها جمالاً . فكانت أحسن عينيه ، وقوله « وأطلقت » أي وحلّت راحته ، وقوله « أربا » بفتح الهمزة وكسر الراء بوزن فرِحًا ، أي ذا أرب وحاجة . وقوله « من ربقة اللمم » أي من عقدة الجنون ، ويصح تفسيره بالذنوب والمعاصي ، وأشار بذلك إلى ما روي من أن امرأة أتت للنبي ﷺ بابن لها به جنون ، فمسح بيده المباركة صدره ، فثعَّ ثعة : أي قاء قيئة ، فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود ، وبرئ لوقته .

(٨٧) قوله « وأحيت السنة الشبهاء » إلخ أي وأخصبت السنة الشهباء إلخ ، والشهباء قليلة المطر ، « دعوته » أي دعاؤه بالسقيا . حكت : أشبهت ، وغرة كل شيء : أحسنه ، والأعصر : جمع عصر ، وهو الزمن ، والدهم بضم الدال والهاء : جمع أدهم ، وهو الأسود ، وأشار بذلك إلى ما رواه الشيخان عن أنس « أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فقال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادعُ الله يُغثنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ، وقال : اللهم أغثنا (ثلاثًا) - وما نرى في السماء من سحاب ولا قزع - فطلعت سحابة ثم أمطرت ، والله ما رأينا الشمس سبتًا (أي أسبوعًا) » .

بِعـارضٍ جـادَ أوْ خِلْـتُ البِطـاحَ بِهـا

سَـيْبٌ مِـنَ الْـيَمِّ أوْ سَـيْلٌ مِـنَ الْعَـرِمِ (٨٨)

دَعْنِـي ووَصْـفِي آيـاتٍ لَـهُ ظَهَـرتْ

ظُهـورَ نَـارِ القِـرَى لَـيْلاً عَـلَى عَلَـمِ (٨٩)

فالْـدُّرُّ يـزدادُ حُسْـناً وهْـوَ مُنـتَظِمٌ

ولـيسَ يَـنْقُصُ قَـدْراً غـيرَ مُنتَظِمِ (٩٠)

---

(٨٨) قوله « بعـارض » أي أحيت السنة الشهباء دعوته بعارض ، والمراد بالعارض السحاب . وقوله « جاد » أي جاد بالمطر الكثير ، وقوله « أو خِلت » أي أو ظننت ، وأو بمعنى إلى . « البطاح » جمع أبطح : وهو الوادي المتسع الذي فيه دقاق الحصى ، و « السيب » الجري ، واليم : البحر ، والعرم : بفتح العين وكسر الراء في الأصل : اسمٌ لما يُمسك الماءَ مِن بناءٍ وغيره ، وهو أيضًا اسمٌ لواد ، فالناظر يتشكك في الماء الكثير الكائن على سطح الأرض ، هل هو سيب من البحر أو سيل من السد الذي تحطم .

(٨٩) دعني : أي اتركني وذكري آيات ، والمراد بالآيات المعجزات الدّالة على نبوته ﷺ ، وقوله « له » أي آيات كائنة له ﷺ ظهور نار القرى : أي ظهرت ظهورًا مثل ظهور نار القرى بكسر القاف الذي هو الضيافة . وقوله « على علم » أي على جبل ، وقد جرت عادة الكرام من العرب بإيقاد تلك النار على الجبل ، ليهتدي الضيفان إلى منازلهم .

(٩٠) « فالدر » وهو اللؤلؤ يزداد حسنًا والحال أنه منتظم في السلك لترتيبه وتنزيله في المنازل المتناسبة ، وليس ينقص قدرًا حال كونه غير منتظم ؛ لأن حسنه ذاتي له .

فــــما تَطــــاوُلُ آمــــالِي المــــديحِ إلى
ما فيـه مِـنْ كَـرَمِ الأخـلاقِ والشِّـيَمِ (٩١)

آيــــاتُ حَــــقٍّ مِــــنَ الــــرَّحْمَنِ مُحْدَثَــــةٌ
قديمــــةٌ صِــــفَةُ الموصــــوفِ بالقِــــدَمِ (٩٢)

لَمْ تَقْــــتَرِنْ بزَمــــانٍ وهْــــيَ تُخْبِرُنــــا
عَــنِ المَعــادِ وعــن عــادٍ وعــن إرَمِ (٩٣)

---

(٩١) قوله « فما تطاول » إلخ « ما » نافية ، والتطاول في الأصل مدّ العنق ، والآمال جمع أمل ، وهو الرجاء ، والمديح هو الثناء الحسن ، وقوله « إلى ما فيه » أي إلى استقصاء ما فيه ﷺ ، والأخلاق جمع خلق بضمتين ، وهو الطبيعة ، والشيم : جمع شيمة ، وهي الخلق بضمتين .

(٩٢) قوله « آيات حق » أي من معجزاته ﷺ آياتُ حق ، أي آياتٌ موصوفة بأنها حق ، هي القرآن . وقوله « من الرحمن » أي من عند الرحمن لا من عند محمد ، كما زعم كفار قريش . وقوله محدَثة أي أحدثها الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ [الشعراء :٥] ، وقوله : « قديمة » استُشكلَ بأنه ينافي قوله محدَثة ، وأُجيبَ بأنها محدَثة باعتبار الألفاظ ، قديمة باعتبار المعاني ، وبهذا كله ظهر قوله « صفة الموصوف بالقدم » فليس المراد أن الألفاظ التي نقرؤها صفةٌ للموصوف بالقدم ، الذي هو الله تعالى ؛ لأنها حادثة ، بل المراد أن معناها صفة له تعالى .

(٩٣) « لم تقترن بزمان » أي لأنها قديمة من حيث معناها ، والزمان حادثٌ ، وقوله « وهي » أي هذه الآيات ، وقوله « تخبرنا عن المعاد » أي عن عَوْد الخلق بعد انعدامهم ، وقوله و « عن عاد » أي وتخبرنا عن قبيلة عاد ، التي بُعث إليها هود عليه الصلاة والسلام ، ويقال لهم أيضًا : إرم ،=

دامَـتْ لَـدَيْنا ففاقَـتْ كُـلَّ مُعْجِـزَةٍ
مِـنَ النَّبيِّـينَ إذْ جـاءتْ ولَمْ تَـدُمِ (٩٤)

ومُحْكَـمَاتٌ فَـما تُبْقِـينَ مِـنْ شُـبَهٍ
لِـذِي شِـقاقٍ ومـا تَبْغِـينَ مِـنْ حَكَـمِ (٩٥)

= تسميةً باسم جدهم إرم ، وقيل إن إرم اسمُ أرضهم وبلدتهم ، وقيل : إنها مدينة بناها شدّاد بن عاد لبنة من فضة وأخرى من ذهب ، في صحن عدن ، وجعل فيها أنهارًا مطّردة ، وأصنافا من الشجر ، وأتم بناءها في ثلثمائة سنة ، وعند كمالها ارتحل إليها بأهل مملكته ، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة ، بعث الله عليهم صيحة من السماء ، فأهلكتهم . وقوله « وعن إرم » بكسر الهمزة تسمّى عادًا الأخرى .

(٩٤) « دامت لدينا » أي الآيات استمرت عندنا ، فتسبب عن ذلك أنها فاقت كلَّ معجزة صادرة من النبيين غير نبينا ﷺ . « إذ جاءت ولم تدم » أي إذ جاءت عنهم ولم تستمر ، بل لم تظهر على أيديهم إلا مرة واحدة ، وذلك حين التحدي ، ثم لم تظهر بعد ذلك ، وإليه أشار ﷺ بقوله : « ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما مِثله آمنَ عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيتُ وحيًا يُتْلَى » ، فشريعته باقية إلى يوم الدين ، فناسبَ أن تكون معجزته كذلك .

(٩٥) « محكمات » أي والآيات المذكورة محكمات ، ومعنى محكمات : متقنات النظم في البلاغة والفصاحة ، أو أن معنى محكَمات : ذوات حكمة . وقوله « فما تبقين من شبه لذي شقاق » أي فما تترك تلك الآيات المحكَمات شبهًا لصاحب شقاق ، وهو الكافر ؛ لأنه مشاقُّ الدين ، والشبه : جمع شبهة ، وهي ما يُظن دليلاً وليست بدليل . « وما تبغين من حكم » بفتح التاء أي ولا تطلبن حَكَمًا ، يعني حاكمًا يحكم على ذلك المخالف للحق بأنه على خلاف الصواب لظهور براهينها عليه . و « ما » نافية في الموضعين .

مـا حُورِبَـتْ قَـطُّ إلاّ عـادَ مِـنْ حَـرَبٍ
أعْدَى الأعـادِي إليهـا مُلْقِيَ السَّـلَمِ (٩٦)

رَدَّتْ بلاغَتُهــا دَعْــوَى مُعارِضِــها
رَدَّ الغَيُــورِ يَــدَ الجـانِي عَـنِ الحُـرَمِ (٩٧)

لهــا مَعَــانٍ كَمَــوْجِ البَحْــرِ في مَــدَدٍ
وفـوْقَ جـوْهَرِهِ في الحُسْـنِ والقِـيَمِ (٩٨)

---

(٩٦) « ما حوربت » إلخ أي ما حورب الآتي بها ـ وهو النبي ﷺ في الزمن الماضي ـ إلا كان النبي ﷺ هو الغالب ، ورجع أشد الأعادي عداوة إليه ملقي السلاح ، وسلّم له ﷺ إما بدخوله في الإسلام ، وإما بتركه المحاربة من أجل شدة بلاغتها . ويحتمل أن المراد بالمحاربة المعارضة و« مِن » فيه بمعنى مِن أجل . وحقيقة الحرَب بفتحتين : سلب المال ، لكن المراد به هنا الشدة أي شدة بلاغتها . « أعدى الأعادي » أشد الأعادي عداوة ، ومعنى السَّلَم بفتحتين : السلاح .

(٩٧) « ردت بلاغتها » أبطلت بلاغتها دعوى معارضها ، كما وقع لمسيلمة الكذاب ، حيث عارض — لعنه الله — القرآنَ لمّا ادّعى النبوة ، وأراد أن يأتي بقرآن يشبه القرآن ، فقال في معارضة سورة النازعات : « والطاحنات طحنًا ، والعاجنات عجنًا ، والخابزات خبزًا » . قوله « رد الغيور » أي ردًا مثل ردّ الشخص الغيور الذي هو شديد الغيرة على النساء ، والحرم بضم الحاء وفتح الراء : جمع حرمة ، كامرأته وأخته وغيرهما . وظاهر كلام المصنف أن إعجاز القرآن للبشر عن الإتيان بمثله سببُه ما اشتمل عليه من البلاغة التي لم يصلوا إليها ، وعلى ذلك فالقرآن ليس من جنس مقدورهم ، وهو قول الجمهور .

(٩٨) « لها معان إلخ » أي لتلك الآيات معان كثيرة لا نهاية لها . « كموج البحر في مدد » أي مثل موج البحر في كونه يمدُّ بعضه بعضًا ؛ إذ ما من موجة إلا وبعدها موجة ، وأشار بذلك إلى قول بعضهم : أقلُّ ما قيل في=

فــــلا تُعَـــدُّ ولا تُحْصَى عَجائبُهـــا

ولا تُســـامُ عــلى الإكْثــارِ بالسَّــأَمِ (٩٩)

قَــرَّتْ بِهــا عَــيْنُ قارِيهــا فَقُلْــتُ لَــهُ

لَقَــدْ ظَفِــرتَ بِحَبْـلِ اللهِ فاعْتَصِــمِ (١٠٠)

= العلوم التي في القرآن من ظواهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم ، وثمانمائة علم ، وما حُكي عن بعضهم من أنه قال : لكل آية ستون ألف فهم ، وما بقي من فهمها أكثر . وقوله « **وفوق جوهره في الحسن والقيم** » أي ولها معان فوق الجوهر المستخرج من البحر في حسنها البديع ، وفي قدرها وشرفها ، و**القيم** : بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة ، والمراد بها هنا ما لها من القدر والشرف مجازًا .

(٩٩) « **عجائبها** » أي معانيها العجيبة ، جمع عجيبة ، وهي الشيء العديم النظير أو قليله ، وقوله « **ولا تسام** » أي لا توصف ، وقوله « **على الإكثار** » أي مع الإكثار منها الذي لا غاية له ، وقوله « **بالسأم** » أي الملل . وحاصل المعنى أنه إذا كان لها معان كموج البحر في الكثرة التي لا غاية لها ، ولا توصف بالملل مع الإكثار منها لحسنها ، فغيرها من الكلام ولو بلغ الغاية فيما يليق به من الحسن والبلاغة يوصف بالملل مع الإكثار منه بخلاف آيات القرآن .

(١٠٠) « **قرّت بها** » أي سكنت واطمأنت بتلك الآيات عين **قاريها** قارئها لحصول السرور لها ؛ فإن عين الحزين تكون مضطربة ، وعين المسرور تكون ساكنة ، وقيل قرّت من القُرّ بضم القاف وهو البرد ، والمعنى : بردت بدمعة الفرح ، ولم تسخن بدمعة الحزن عين قارئها . وقوله « **لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم** » أي واللهِ لقد فزت بما يوصلك إلى الله ، فامتنع ببركة قراءته من عذاب الله ، أو امتنع باتباع أوامره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة المؤدّية إلى عقاب الله تعالى .

إن تَتْلُها خِيفَةً مِنْ حَرِّ نارِ لَظَى
أطفأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ (١٠١)
كأنَّها الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوجوهُ بِهِ
مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جاءوهُ كالحُمَمِ (١٠٢)
وكالصِّراطِ وكالميزانِ مَعْدِلَةً
فَالقِسْطُ مِنْ غَيْرِها في الناسِ لَمْ يَقُمِ (١٠٣)

---

(١٠١) قوله « إن تتلها » إلخ أي إن تقرأها إلخ ، وقوله « خيفةً » أي خوفاً ، وقوله « من حر نار لظى » أي التي هي جهنم ، وقوله « مِن وردها » : الورد بمعنى المورد ، وهو المحل الذي يورد منه الماء ، وقوله « الشبِم » بفتح الشين وكسر الموحَّدة : أي البارد ، فالماء يطفئ حرارة العطش ، والآيات تطفئ حرارة نار جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه .

(١٠٢) قوله « كأنها الحوض » إلخ أي كان الآيات المذكورة ماء الحوض ، وقوله « الوجوه » أي ذوو الوجوه ، وقوله « به » أي بالحوض ، وقوله « من العصاة » أي حال كونهم بعض العصاة ، فمِن للتبغيض . وقوله « وقد جاءوه » والضمير الفاعل راجع للعصاة ، والضمير المفعول راجع للحوض . وقوله « كالحمم » أي حال كونهم كالحمم ، فالحمم جمع حُمة بمعنى فحمة ، ووجه تشبيهها بالحوض المذكور أن الآيات تشفع في تاليها وقد جاء مسودَّ الوجه من المعاصي ، فبيَّض وجهه بشفاعتها ، كما أن الحوض تبيض به وجوه العصاة حين يُصب عليهم منه بعد مجيئهم من النار كالفحم في السواد الذي أصابهم من النار ، فيعودون بيضًا كالقراطيس ، ثم يدخلون الجنة .

(١٠٣) قوله « وكالصراط » إلخ أي وهذه الآيات كالصراط استقامةً . والمراد بالصراط : الدين الذي لا اعوجاج فيه ، أو المراد به الجسر الممدود على متن جهنم . وقوله « وكالميزان معدلة » أي وكالميزان من=

لا تعجَبَنْ لِحَسُودٍ راحَ يُنْكِرُها

تجاهُلاً وَهْوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفَهِمِ (١٠٤)

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَمْسِ مِنْ رَمَدٍ

ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ (١٠٥)

يا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العافونَ ساحَتَهُ

سَعْياً وفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ (١٠٦)

= جهة العدل ، فمعدلة بمعنى عدلاً ، هو الميزان الذي يكون في يوم القيامة . وقوله « فالقسط من غيرها في الناس لم يقم » أي فالقسط بكسر القاف ، الذي هو العدل المأخوذ من غير هذه الآيات لم يقم في الناس .

(١٠٤) قوله « لا تعجبن » أي لا ينبغي العجب ؛ لأنه إذا ظهر السبب بطلَ العجب ، وها هنا قد ظهر السبب وهو الحسد . وقوله « راح ينكرها » أي ذهب ينكر كونها من عند الله ، وقوله « تجاهلاً » أي حال كونه متجاهلاً ، أي مُظهرًا للجهل . وقوله « وهو عين الحاذق الفهم » أي والحال أنه عين الحاذق أي الماهر ، الفهم : بفتح الفاء وكسر الهاء : أي الشديد الفهم ، وحينئذ فإنكارها عناد دعاه إليه الحسد .

(١٠٥) لما ادّعى أن إنكارها للحسد مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة ، أثبت ذلك بأمرين محسوسين : الأول إنكار العين ضوء الشمس من أجل الرمد القائم بها ، والثاني إنكار الفم طعم الماء من أجل السقم القائم به ، فكذلك إنكار الآيات من أجل الحسد القائم بالمنكر .

(١٠٦) « يا خير من يمم... » أي يا خير كريم قصد العافون ، وهم الطالبون للمعروف بساحته ، والعافون : جمع عاف ، وهو طالب المعروف ، والساحة : حريم الدار الواسع ، وسعيًا : بمعنى ساعين .والمتون : جمع=

وَمَــنْ هُــوَ الآيَــةُ الكُــبْرَى لِمُعْتَـبِرٍ

وَمَـنْ هُـوَ النِّعْمـةُ العُظْمَـى لِمُغتَـنِمِ (١٠٧)

سَرَيْــتَ مِــنْ حَــرَمٍ لَــيْلاً إلى حَــرَمِ

كـما سَرَى البَـدْرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَـمِ (١٠٨)

= متن وهو الظهر ، والأينق : جمع ناقة ، وأصله أنوق قدِّمت الواو على النون فصار أونق ، ثم قلبوها ياءً فصار أينق . والرسم : بضم الراء المشدّدة وضم السين جمع رَسوم ، وهي الناقة التي تؤثر في الأرض من شدّة الوطء عليها .

(١٠٧) قوله « ومن هو » إلخ أي ويا من هو إلخ ، فـ « مَن » هنا واقعة عليه ﷺ وحده . وقوله « الآية الكبرى لمعتبر » أي الآية الكبرى التي هي أكبر الآيات لمتأمل ومتفكر ، أي الدليل الأعظم على أن ما جاء به حق . وقوله « ومن هو » إلخ أي ويا من هو إلخ ، وقوله « النعمة العظمى لمغتنم » أي النعمة العظمى التي هي أعظم النعم لمنْ يُريد أن يغتنم ما عند الله من السعادة الأبدية ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

(١٠٨) قوله « سريت » إلخ كأنه قال : ومن معجزاتك أنك سريت إلخ ، سريت : سرت ليلاً . وقوله « من حرم » أي حرم مكة . وقوله « ليلاً » أي في ليل ، وإنما خُص الليل بذلك دون النهار ؛ لأنه وقت تفريغ البال ، وقطعُ العلائق ، وقيل : لأن الله تعالى لما محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسرَ خاطرُ الليل ، فَجُبِرَ بأن أسْرِيَ فيه بمحمد ﷺ . وقوله « إلى حرم » أي حرم بيت المقدس ، وقوله « كما سرى البدر » أي مثل سير البدر الذي هو القمر ليلة كماله ، وهي ليلة أربعة عشر ، والداجي : اسمٌ لِلّيل المظلم ، يقال دجا الليل ، أي أظلم ، فهو داج ، أي مظلم ، فقوله « من الظلم » تكملة أي من ذي الظلَم ، جمع ظلمة ، وفي هذا البيت إشارة إلى قصة الإسراء ، وقد=

وَبِـــتَّ تَرْقَـــى إلى أنْ نِلْـــتَ مَنْزِلـــةً
مِنْ قَـابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُـدْرَكْ وَلَمْ تُـرَمِ (١٠٩)

وقَـــدَّمَتْكَ جَميـــعُ الأنبيـــاءِ بِهـــا
والرُّسْلِ تَقْـدِيمَ مَخْـدومٍ عَـلَى خَـدَمِ (١١٠)

= ذكرها الله تعالى بقوله : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء:١] .

(١٠٩) أي وبعد وصولك إلى بيت المقدس بتَّ ترقى أي تصعد ؛ فإنه ﷺ نُصِبَ له معراج له مرقاة فصعد عليها إلى سماء الدنيا ، فلما جاوز السماء الأولى دُلِّيت المرقاة فصعد عليها إلى السماء الثانية ، وهكذا إلى السماء السابعة ، ثم إلى الكرسي ، ثم إلى سدرة المنتهى ثم إلى مستوًى سمِعَ فيه صريفَ الأقلام ، ثم دُلِّيَ له الرفرف ، وهو سحابة خضراء ، فصعد عليها إلى ما شاء الله تعالى . وقوله : « إلى أن نلت منزلةً » أي إلى أن أعطيت مرتبة في القرب . وقوله « مِن قاب قوسين » ، والأصل من قابَيْ قوس ؛ لأن كل قوس له قابان [القاب : ما بين المقبض وطرف القوس] ، وبينهما شيء قليل جدًّا ، فبينهما غاية القرب ، فكذلك بينه ﷺ وبين الله ، فبينهما غاية القرب ، لكن المراد هنا القرب المعنوي ، وقوله « لم تدرك » أي لم يدركها غيرُك ، وقوله « ولم ترم » أي لم يرُمها غيرك ولم يطلبها ؛ للعلم بأنها ليست إلا لك ، وفي هذا البيت إشارة إلى قصة المعراج ، وقد ذكرها الله تعالى بقوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ .

(١١٠) قوله « بها » أي بتلك المنزلة ، وقوله و « الرسل » أي وجميع الرسل ، وقوله « تقديم مخدوم على خدم » أي تقديمًا مثل تقديم مخدوم على خدم .

وأنــتَ تَخْــتَرِقُ السَّــبْعَ الطِّبـاقَ بِهِــمْ

فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فيهِ صَاحِبَ العَلَمِ (١١١)

حَتَّــى إذا لم تَــدَعْ شَــأواً لِمُسْــتَبِقٍ

مِــنَ الــدُّنُوِّ ولا مَرْقَــى لِمُسْــتَنِمِ (١١٢)

خَفَضْــتَ كُــلَّ مَقَــامٍ بالإضــافَةِ إذْ

نُودِيــتَ بـالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْـرَدِ العَلَـمِ (١١٣)

---

(١١١) قوله « وأنت تخترق » بمعنى تقطع السموات السبع الطباق ، أي التي هي طبقة فوق طبقة . وقوله « بهم » أي حال كونك مارًّا بالأنبياء ، ففي حديث الإسراء في صحيح مسلم « أنه مر في السماء الدنيا بآدم ، وفي الثانية بعيسى ويحيى ، وفي الثالثة بيوسف ، وفي الرابعة بإدريس ، وفي الخامسة بهارون ، وفي السادسة بموسى ، وفي السابعة بإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وقوله « في موكب » : الموكب : الجمع العظيم المتلبس بهيئةٍ عظيمة ، وقد كان معه ﷺ جبريل . وجملة « كنتَ فيه صاحب العلم » : أي كنت فيه المشار إليه ؛ لأن العَلم الرمح في رأسه راية ، ومن شأن صاحبه أن يشار إليه ، وكان جبريل يستفتح في كل سماء فيقال له : ومن معك ؟ فيقول : محمد .

(١١٢) قوله « لم تدع شأوًا لمستبقٍ » أي لم تترك غاية لطالب سبق ، و « شأوًا » أي غاية ، و المستبق : طالب السبق . « من الدنو » أي من القرب . وقوله « ولا مرقى لمستنم » المرقى : محل الرقيِّ ، وهو الدرجة ، و المستنم : طالب الرفعة وهو الساعي ليرتفع .

(١١٣) قوله : « خفضت كل مقام » أي خفضت كل رتبة لغيرك ، وقوله « بالإضافة » أي بالنسبة إلى مقامك لا مطلقا ، وإلا فالأنبياء كلهم متصفون بالكمال ، لكنه ﷺ أكملُ ؛ فمقام غيره منخفض بالنسبة لمقامه=

كَــيْما تَفُــوزَ بِوَصْــلٍ أيِّ مُسْتَتِــرٍ

عَــنِ العُيُــونِ وَسِرٍّ أيِّ مُكْتَــتَمِ (١١٤)

فَحُــزْتَ كُــلَّ فَخَــارٍ غَــيْرَ مُشْــتَرَكٍ

وجُــزْتَ كُــلَّ مَقَــامٍ غَــيْرَ مُــزْدَحَمِ (١١٥)

= المرتفع عن مقام كل مخلوق ، وإياك أن تعتقد أن غيره ﷺ من الأنبياء ليس متصفا بالكمال ؛ لأن ذلك كفر . وقوله « إذ نوديت بالرفع » أي لأنك نوديت من قِبل الله تعالى نداءً مصحوبًا برفع شأنك إلى ما لم يصله أحد غيرك . قوله : « مثل المفرد العلم » فكما أن المفرد العلم خُصَّ بكونه نودي نداءً مصحوبًا بالرفع من بين أقسام المنادى ؛ فإنّ ما عداه منها منصوب ، كذلك ﷺ خُصَّ بكونه نودي نداءً مصحوبًا بالرفع من بين سائر الأنبياء ، والمراد بالمفرد العلم : المعرفة .

(١١٤) قوله « كيما تفوز » فالمعنى فعلتَ ذلك لأجل أن تفوز إلخ ، وقوله « أي مستتر عن العيون » : أي وصل كامل في الاستتار عن العيون . وقوله « وسر أي مكتتم » : أي سر كامل في الاكتتام عن الخلق ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم:١٠] ، كما يدل على ذلك حديث عائشة – رضي الله تعالى عنها – حيث قالت : يا رسول الله ما الذي أوحى إليك ربك إذ قال فأوحى إلى عبده ما أوحى ؟ قال : يا عائشة أتريدين أن تعلمي ما لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل ولا نبي مرسل ولا ملك مقرّب ؟! (إلى آخر الحديث) .

(١١٥) قوله « فحزت » الحيازة : الجمع ، فمعنى حزت جمعت ، والفخار : هو ما يُفتخر به من الفضائل ، وقوله « غير مشترك » أي بينك وبين غيرك ، بل هو مختصٌّ بك ، وقوله « وجزتَ » : أي عبرت وتجاوزت ، وقوله « كل مقام » : المقام : الرتبة ، وقوله « غير مزدحم » بفتح الحاء أي غير مزدحم فيه لعدم الواصلين إليه .

وجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ
وعَزَّ إدْراكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ (١١٦)

بُشْرَى لنا مَعْشَرَ الإسْلامِ إنَّ لَنا
مِنَ العِنايَةِ رُكْنًا غيرَ مُنْهَدِمِ (١١٧)

لَمَّا دَعا اللهُ داعِينا لِطاعَتِهِ
بِأكرَمِ الرُّسْلِ كُنّا أكْرَمَ الأُمَمِ (١١٨)

راعَتْ قُلوبَ العِدا أنباءُ بَعْثَتِهِ
كنَبْأَةٍ أجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ (١١٩)

---

(١١٦) قوله « جل » إلخ أي عظم ، وقوله « ما وليت » بالبناء للمفعول أي ما ولاّك الله . والرتب : المناصب الشريفة . وقوله « عز » : أي امتنع ذلك ، فلا يحصل لأحد غيرك . وقوله « ما أوليتَ » بالبناء للمفعول ، أي ما أولاك مولاك أي أنعم عليك .

(١١٧) قوله « بشرى لنا » إلخ أي هذه المناقب بشرى لنا إلخ . وقوله « إن لنا من العناية ركنًا غير منهدم » أي إن لنا جميع المسلمين من أجل العناية بنا في الأزل شريعة غير متغيرة بالنسخ . أماتنا الله على سنته ، واتباع ملته بمنّه وفضله ورحمته .

(١١٨) قوله « لما دعا الله » إلخ أى لَمّا سمّى الله ، وفي التنزيل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠] ، والمعنى عليه : لما دعانا الله وهو داعينا لطاعته بواسطة أكرم الرسل ، كنا أكرم الأمم ، والأوّل أقرب كما لا يخفى .

(١١٩) قوله « راعت » إلخ أي أفزعت ، وقلوب : أي أصحاب قلوب ، والعدا : بالكسر والقصر جمع عدو ، والمراد بهم الكفار ، والمراد بأنباء بعثته :=

مـــا زالَ يَلقـــاهُمُ في كُـــلِّ مُعْـــتَرَكٍ

حَتَّى حَكَـوْا بِالقَنا لَـحْمًا علَى وَضَـمِ (١٢٠)

وَدُّوا الفَـــرارَ فكـــادُوا يَغبِطـــونَ بِـــهِ

أَشْلاءَ شَـالَتْ مَـعَ العِقْبانِ والـرَّخَمِ (١٢١)

= أخبارها التي صدرت من الكهان والأحبار وغيرهـم ، كقـولهم : إنـه سـيظهر دينٌ يغلب كل دين . وقوله : « كنبئة » أي مثل نبئة أي زأرة الأسـد ، وجملـة أجفلت : أي أفزعت صفة لنبئة ، و غفلا : جمع غافل .

(١٢٠) قوله « ما زال » إلخ أي لم ينفك ﷺ عن كونه يلقاهم بنفسه تارة ، وبخيله ورجله أخرى ، في كل معترك وقع بينه ﷺ وبينهم ، و المعـترك بفـتح الـراء : محل الاعتراك ، أي الازدحام للحـرب . وقولـه « حكـوا » شـابهوا ، وقولـه « بالقنا » أي بطعن القنا ، و القنا : جمع قناة وهـي الـرمح ، و الوضـم بالضـاد المعجمة : ما يضع القصَّاب اللحمَ عليه ، معَـدًّا لمن يأخـذه ، وهـو المسـمى بالطبلية ، وقيل : إنه الحديد الذي يُغرز فيه اللحم حين يُشوى ليؤكل .

(١٢١) قوله « ودّوا الفرار » إلخ أي تمنوا الهرب منه ﷺ ، وقوله « فكادوا يغبطون به أشلاء شالت مع العقبان والرخم » أي فلتمنيهم ذلك قربـوا مـن أن يغبطـوا بـذلك الفـرار ، أشـلاء : أي أعضـاء شـالت : أي ارتفعـت حـال كونهـا مـع العقبان . العقبان : جمع عقاب (قال في القاموس : والعُقاب – بضـم العـين – طائر جمعه أعقبُ وعِقبان – بكسر العين) ، وهو نوع من الطير ، و مع الرخم جمع رخمة ، وهي نوع من الطير أيضًا ، وإنما خص هـذين النـوعين لعظـم ارتفاعهمـا دون غيرهما . و الغبطة : هي تمني الشخص أن يحصل له مثل ما حصـل لغـيره . و أشلاء : جمع شلو بكسر الشين وسكون اللام وهو العضو من اللحم .

تَمْضِي الليـــالي ولا يَـــدرونَ عِـــدَّتَها

ما لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيالي الأشْهُرِ الحُـرُمِ (١٢٢)

كـأنَّما الـدِّينُ ضَـيْفٌ حَـلَّ سـاحَتَهُمْ

بكُـلِّ قَـرْمٍ إلى لَـحْمِ العِـداَ قَـرِمِ (١٢٣)

يَجُـرُّ بَحْـرَ خَمِـيسٍ فَـوْقَ سـابِحَةٍ

يَرْمِـي بِمَـوْجٍ مِـنَ الأبطـال مُلْتطِمِ (١٢٤)

---

(١٢٢) قوله « تمضي الليالي » إلخ أي تمر عليهم الليـالي بأيامهـا ، والحـال أنهم لا يعلمون عددها من شدة ما دخل في قلوبهم من الفزع ، وقولـه « ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم » أي ما لم تكـن تلـك الليـالي من ليالي الأشهر الحرم التي هـي ذو القعـدة وذو الحجـة والمحرم ورجـب ؛ لإمساك النبي والمؤمنين عن جهادهم في الأشهر الحرم .

(١٢٣) قوله « كأنما الدين » إلخ أي كأنما دين الإسـلام ضـيف حـلّ ونـزل ساحة الكفار ، وقوله « بكل قرم » بفتح القاف وسكون الراء : أي مـع كل شجاع ، وقوله إلى لحم العدا قرم : بفتح القـاف وكسـر الـراء : أي شديد الشهوة إلى لحم العدا للمسلمين .

(١٢٤) قوله « يجر » إلخ أي يستتبع هذا القرم الذي هو الشجاع ، وقولـه « بحر خميس » أي خميس كالبحر في تموجه وإهلاكه الكفار ، والخميس هـو الجيش العظيم ، سمي بذلك لأنه مركب من خمس قوائم : مقدمة ، وميمنة ، وميسرة ، وساقة ، وقلب . وقوله « فـوق سـابحة » أي كـائن فـوق خيـل سـابحة : أي مسرعة في طلب الكفار كالسابح في البحـر . والأبطـال : جمـع بطـل ، وهـو الشجاع ، وقوله « ملتطم » صفة لموج ، أي ملتطم بعضه ببعض .

مِـــنْ كُـــلِّ مُنْتَــــدِبٍ للهِ مُحْتَسِـــبِ
يَسْـطُو بِمُسْتأصِـلٍ للكُفْـرِ مُصْـطَلِمِ (١٢٥)

حَتَّـى غَـدَتْ مِلَّـةُ الإسـلامِ وَهْـيَ بِهِـمْ
مِـنْ بَعْـدِ غُرْبَتِهـا موصـولَةَ الـرَّحِمِ (١٢٦)

---

(١٢٥) قوله « مِن كل منتدب » أي من كل مجيب ، وقوله « محتسب » أي مدخر ثواب عمله عند الله ، وقوله « يسطو » أي يصول ، وقوله « بمستأصل للكفر » أي بآلة مستأصلةٍ لأهل الكفر ، أي مزيل لهم من أصلهم ، وقوله « مصطلم » أي مهلك لهم .

(١٢٦) غدت بمعنى صارت ، وقوله « وهي بهم » أي وهي مصحوبة بالصحابة ، وقوله « من بعد غربتها » والمراد بغربتها عدم شهرتها وقلة من ينتمي إليها ، وقوله موصولة الرحم : أي كثرة القيام بحقها بسبب كثرة من ينتمي إليها ، وأشار بذلك إلى حديث مسلم « بدأ الإسلام غريبًا » . (رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة ، والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود ، وابن ماجه عن أنس ، والطبراني عن سيدنا سلمان وسهل بن سعد وابن عباس) . وروى البيهقي في شعب الإيمان عن شريح بن عبيد مرسلًا : « إن الإسلام بدأ غريبًا ، وسيعود غريبا ، فطوبى للغرباء ، ألا إنه لا غربة على مؤمن ، ما مات مؤمن في أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض » ورواه ابن جرير ، وابن أبي الدنيا إلا أن روايتهما : « ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ ثم قال : إنهما لا يبكيان على كافر » وهو مروي عن أنس وجابر ، وسعد بن أبي وقاص ، وسهل بن سعد ، وسلمان وابن عباس ، وابن عمر ، وابن مسعود ، وعمر ، وعلي ، وعمرو بن عوف ، وواثلة ، وأبي أمامة ، وأبي الدرداء ، وأبي سعيد ، وأبي موسى وغيرهم ، فهو مشهور أو متواتر ، كذا من « كشف الخفاء » للعجلوني .

مَكْفولــةً أبــدًا مِــنهُمْ بِخَــيْرِ أبٍ

وَخَــيْرِ بَعْــلٍ فَلَــمْ تَيْــتَمْ وَلَمْ تَــئِمِ (١٢٧)

هُــمُ الجِبــالُ فَسَــلْ عَــنْهُمْ مُصــادِمَهُمْ

مــاذا رأى مِــنْهُمْ في كُــلِّ مُصْــطَدَمِ (١٢٨)

وَسَــلْ حُنَيْنــاً وسَــلْ بَــدْرًا وَسَــلْ أُحُــدًا

فُصُولُ حَتْفٍ لَــهُمْ أدْهَى مِنَ الوَخَمِ (١٢٩)

---

(١٢٧) قوله « مكفولة » إلخ أي محفوظة ، وقوله « أبدًا » أي إلى الأبد ، وقوله « منهم » أي من الكفار ، وقوله « بخير أب وخير بعل » هو النبي ﷺ ، فإنه أشفقُ على أمته من الأب على أولاده ، وأقوَم بمصالحهم من البعل على زوجاته (ولذلك قال رسول الله ﷺ : « أنا أولى بالمؤمنين في كتابِ الله ، فأيكم ما ترك دينًا أو ضيعة فادعوني فأنا وليُّه ، وأيكم ما ترك مالاً فليؤثر بماله عصبتَه من كان » رواه مسلم . ويشير ﷺ بقوله « في كتاب الله » إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب الآية ٦ : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ ، وقوله « فلم تيتم » أي من جهة الأب ، وقوله « ولم تئم » أي من جهة البعل ، يقال : يتمَ الولد إذا مات أبوه وهو صغير ، ويقال : آمت المرأة تئيم كباعت تبيع : إذا خلت من زوجها .

(١٢٨) قوله : « هم الجبال » أي هم كالجبال في الشمم والصلابة ، وقولـه « فسل عنهم مصادمهم » أي مَن صادمهم من أعدائهم ، وقوله « ماذا رأى منهم » أي من الشدة ، وقوله « في كل مصطدم » بفتح الدال ، هي الأماكن التي التقوا فيها مع أعدائهم .

(١٢٩) قوله « وسل حنينًا » إلخ أي وسل زمن غزوة حنين ، وسل زمن غزوة بدر ، وسل زمن غزوة أحد . ومعنى قوله « فصول حتف لهم » أزمنة موت للكفار ، وقوله « أدهى من الوخم » أي أشد داهية عليهم لما يصيبهم فيها من الوخم الذي هو الوباء . وكانت غزوة حنين بعد فتح مكة سنة ثمان ، وهو=

المُصْـدِرِي البِـيضَ حُمْـرًا بَعْـدَ مـا وَرَدَتْ

مِـنَ العِـدَا كُـلَّ مُسْـوَدٍّ مِـنَ اللِّمَـمِ (١٣٠)

والكَـاتبِينَ بِسُـمْرِ الخَـطِّ مـا تَرَكَـتْ

أَقْلامُهُـمْ حَـرْفَ جِسْـمٍ غَيرَ مَنْعَجِمِ (١٣١)

= اسمٌ لواد بين مكـة والطـائف ، وفيـه التقـى رسـول الله ﷺ والمسـلمون مـع المشركين ، فانهزم الكفار ، وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين إليها في يوم الجمعة سنة ثنتين ، وقتل فيها من صناديد قريش سبعون ، وأسر منهم سبعون ، وكانت غزوة أحد في شوال سنة ثلاث ، وهو اسمٌ لجبل بالمدينة ، واستشهد فيها من المسلمين سبعون ، منهم حمزة ، وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا ، والحرب سجال ، واحدة لنا ، وواحدة علينا .

(١٣٠) قوله « المصدري البيض » ، والمصدرين جمع مصدِر بضم الميم ، من أصدر عن الماء : رجع ، والمراد من البيض السيوف المصقولة . وقوله « حمرًا » أي من الدماء التي خالطتها ، وقوله « بعد ما وردت » أي بعد ورودها ، وقوله « من اللمم » أي الشعر المجاور شحمة الأذن ، فاللمم بكسر اللام : جمع لمة ، وهي الشعر المذكور . فحاصل المعنى : أمدح الصحابة الذين أصدروا أي أرجعوا السيوف البيض حال كونها حمراء من الدماء بعد ورودها كل شخص مسود اللمم ، حال كونه من العدا ، وفي ذلك دليل على شجاعة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حيث لا يرضون إلا بقتل سود اللمم من العدا ، وهم الشبان في الغالب .

(١٣١) المراد بسمر الخط : الرماح الخطية [1] فالسمر جمع أسمر ، وهو الرمح ، والخط شجرة تتخذ منها تلك الرماح ، وقيل : موضع باليمامة تجلب إليه تلك الرماح من الهند . وقوله « ما تركت أقلامهم حرف جسم غير منعجم » =

---

(١) الرماح الخطية : نسبة إلى مرفإ للسفن في البحرين تباع به الرماح ، قال في القاموس : « ومرفأ السفن بالبحرين ، وإليه نسبت الرماح لأنها تباع به ، لا إنه منبتها » .

شـاكِّي السِّـلاحِ لَـهُمْ سِيـما تُمَيِّـزُهُمْ
والـوَرْدُ يَمْتـازُ بالسِّـيما عَـن السَّـلَمِ (١٣٢)

تُهْـدِي إليـكَ رِيـاحُ الـنَّصْرِ نَشْرَهُـمُ
فَتَحْسَبُ الزَّهْـرَ في الأكـمامِ كُلَّ كَمِي (١٣٣)

كـأنَّهُمْ في ظُهُـورِ الخَيـلِ نَبْـتُ رُبـاً
مِـنْ شِـدَّةِ الحَزْمِ لا مِـنْ شِـدَّةِ الحُزُمِ (١٣٤)

= أي لم تترك أسنة رماحهم طرف جسم من أجسام الكفار غير مزال عجمته ، بل أزالت عجمته ، فالمراد بأقلامهم : أسنة رماحهم .

(١٣٢) قوله « شاكي السلاح » إلخ أي حادِّيه ، وقوله « لهم سيما تميزهم » أي لهم علامة تميزهم عن غيرهم ، قال تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [الفتح:٢٩] ، وقوله « والورد يمتاز بالسيما عن السلم » : شجر من العضاة ، فالورد والسلم وإن اشتركا في أن كلاً شجرٌ مورق ذو شوك إلا أن بينهما فرقا ظاهراً لكل ذي بصر ، وكذلك الصحابة وغيرهم ، فإنهما وإن اشتركا في أن كلا ذو سلاح ، إلا أن بينهما فرقا ظاهرًا لكل ذي بصيرة .

(١٣٣) قوله « تهدي إليك » بمعنى ترسل ، والمراد برياح النصر الرياحُ التي حصل بها النصر ، والمراد بالنشر الخبرُ السار ، وإن كان في الأصل الرائحة الطيبة ، و الزهر : نَوْرُ الشجر ، و الأكمام جمع كم : وهو غلاف النور ، و الكمي : الشجاع في سلاحه .

(١٣٤) قوله « كأنهم في ظهور الخيل » إلخ أي كأن الصحابةَ حالَ كونهم على ظهور الخيل نبت ربا في الاستقرار والثبوت . و الربا جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض ، ونبتها يكون أثبتَ مِن غيره لطول عروقه حتى يصلَ إلى الماء ، ويكون أحسن من غيره ؛ لأنه لا يستقر عليه الماء=

طارَتْ قُلوبُ العِدا مِنْ بَأسِهِمْ فَرَقًا

فَـما تُفَـرِّقُ بَـيْنَ الـبَهْمِ والـبُهَمِ (١٣٥)

وَمَـــنْ تَكُـــنْ بِرَســـولِ اللهِ نُصْرَتُـــهُ

إنْ تَلْقَـهُ الأُسْـدُ في آجامِهـا تَجِـمِ (١٣٦)

وَلَـنْ تَـرَى مِـنْ وَلِـيٍّ غَـيْرَ مُنْتَصِرٍ

بِـهِ ولا مِـنْ عَـدُوٍّ غَـيْرَ مُنْقَصِـمِ (١٣٧)

= فيأخذ حظه من الشمس والرياح ، وقوله « من شدة الحزم » من قوّة جودة رأيهم وتدبيرهم ، وقوله « لا من شدة الحزم » أي لا من ربط الحزم (جمع حزم) التي يربط بها السرج أو غيره على ظهر الدابة .

(١٣٥) قوله « طارت » بمعنى اضطربت ، وقوله « من بأسهم » أي من شدتهم وقوّتهم في الحرب ، وقوله « فرقًا » أي فزعًا . وقوله « فما تفرّق بين البهم والبَهْم » البهم جمع بهمة وهي السخلة ، وهي أولاد الضأن ، والبهم بضم الباء الموحدة وفتح الهاء : الشجعان (في القاموس : البُهمة – بضم الباء – الشجاع الذي لا يُهتَدى من أين يؤتَى) .

(١٣٦) قوله « ومن تكن برسول الله » ولا تكون النصرة برسول الله ﷺ إلا باتباع سنته ، وتركِ ما كان على خلاف شريعته ، وذلك هو تقوى الله ، والحامل عليها خوف الله ، ومن خاف الله خاف منه كل شيء ، حتى الأسْد في آجامها ، الأسد : جمع أسد ، وهو الحيوان المعروف ، آجامها : جمع أجمة ، وهي الغابات ، تجم : بكسر الجيم بمعنى تسكت من هيبته .

(١٣٧) والمراد بالولي من آمن به ﷺ ، والعدُوّ ضده . وقوله « به » أي برسول الله ، والمنقصم : القصم بالقاف : القطع مع الإبانة .

أَحَــلَّ أُمَّتَــهُ فِي حِــرْزِ مِلَّتِــهِ
كاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأشْبَالِ في أَجَمِ (١٣٨)

كَــمْ جَــدَّلَتْ كَلِـماتُ اللهِ مِـنْ جَـدِلٍ
فِيهِ وكَـمْ خَصَـمَ البُرهـانُ مِنْ خَصِـمِ (١٣٩)

كَفــاكَ بِــالعِلْمِ فِي الأُمِّــيِّ مُعجِـزَةً
في الجاهِلِيَّــةِ والتأديــبِ في اليُـتُمِ (١٤٠)

---

(١٣٨) قوله « أحل أمته » أي أنزلها ، لأنه أحل أمته إلخ . وقوله « في حرز ملته » : أي في ملته الشبيهة بالحرز ، وإنما كانت ملته ﷺ شبيهة بالحرز ؛ لأنها تحفظ من اتبعها من نار الكفر . وقوله « كالليث حل مع الأشبال في أجم » أي فالنبي ﷺ حل مع أمته في ملته كالليث حل مع أشباله في الأجم ، والليث هو الأسد ، والأشبال هي أولاده ، والأجم جمع أجمة ، وهي الغابة أي الشجر الملتف .

(١٣٩) كم بمعنى كثيرًا ، وجدَّلت : أي قطعت وأزالت جداله ، وكلمات الله : هي القرآن ، والجدل أي في أمره ﷺ . وقوله « وكم خصم البرهان من خصم » أي وكثيرًا ما خصم البرهان ، الذي هو الدليل القاطع من خصِم بكسر الصاد ، وهو شديد الخصومة . وحاصل معنى البيت : كثيرًا ما أزال القرآن جدال المجادل في أمره ﷺ ، وكثيرًا ما أزال الدليل القاطع خصومة شديد الخصومة في أمره ﷺ ، والأول إشارة إلى ما وقع في القرآن من جواب المعاندين السائلين له ﷺ ، والثاني إشارة إلى ما وقع منه ﷺ من الآيات ، حين سألوه آية على رسالته .

(١٤٠) قوله « كفاك بالعلم » أي كفاك العلم ، وقوله « في الأمي » أي في النبي الأمي ، وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، نسبةً للأم ، كأنه على الهيئة التي نزل عليها من أمه . وقوله « في الجاهلية » أي الزمن الذي لا علم فيه . وقوله « والتأديب في اليتم » أي وكفاك بالتأديب في اليتم معجزة ؛=

خَدَمْتُـــهُ بِمَـــديحٍ أسْـــتَقِيلُ بِـــهِ
ذُنـوبَ عُمْـرٍ مَضَى في الشِّـعْرِ والخِـدَمِ (١٤١)

إذْ قَلَّـــدانِي مـــا تُخْشَـــى عَواقِبُـــهُ
كـــأَنَّني بِهِـما هَـدْيٌ مِـنَ الـنَّعَمِ (١٤٢)

أطَعْـتُ غَـيَّ الصَّـبا في الحـالتيْنِ وَمـا
حَصَـلْتُ إلّا عـلى الآثـامِ والنَّـدَمِ (١٤٣)

فيـــا خَســـارةَ نَفْـــسٍ في تجارتهـــا
لَمْ تَشْـتَرِ الـدِّينَ بالـدنيا ولم تَسُـمِ (١٤٤)

= لأن شأن اليتيم ، وهو الصغير الذي لا أب له أن لا يكون فيه من الأدب ما يكون في غيره ؛ فإن الأب غالبًا ما يهتم بتأديب ابنه ، ويسعى في تكميله باكتساب الصفات الحميدة ، بخلاف غير الأب ، وكان ﷺ مؤدَّبًا بأحسن الأخلاق ، على خلاف العادة في اليتم .

(١٤١) أي **خدمتُه** ﷺ بما تقدم من المدح ، أطلب من الله أن يقيلني بسبب هذا المديح ذنوب عمر مضى في الشعر مدحًا لأبناء الدنيا .

(١٤٢) قوله « **إذ قلداني** » الضمير في قلداني للشعر والخدم . وقوله « **ما تخشى عواقبه** » أي آثامًا تخشى عواقبها ، والمراد **بعواقبها** أنواع العذاب ، وقوله « **كأنني بهما هديٌ من النعم** » أي كأنني بسبب الشعر والخدم هديٌ من النعم ، التي هي الإبل والبقر والغنم ، ومن شأن الهدي أن يُقلد بجعل شيء في عنقه ، من نعل ونحوه ؛ ليُعلم أنه هدي .

(١٤٣) **الغي** : ضد الهدى ، وأضيف للصبا لأنه يدعى إليه ؛ فإنه زمن الجهل والبطالة ، قوله « **في الحالتين** » أي حالتي الشعر والخدم .

(١٤٤) قوله « **لم تُسم** » بفتح التاء وضم السين المهملة : أي ولم تتعرض لأخذ الدين بدل الدنيا ، وكأن الناظم عنى نفسه فنادى عليها بالخسارة ،=

وَمَــنْ يَبِــعْ آجِــلاً مِنْــهُ بعاجِلِــهِ
يَــبِنْ لَــهُ الغُــبْنُ في بَيْــعٍ وفي سَــلَمِ (١٤٥)

إنْ آتِ ذَنْبًــا فــما عَهْــدِي بِمُنْــتقِضٍ
مِــنَ النَّبِــيِّ ولا حَبْــلِي بِمُــنْصَرِمِ (١٤٦)

فَــإنَّ لي ذِمَّــةً مِنْــهُ بِتَسْــمِيَتِي
مُحَمَّــدًا وَهْــوَ أوْفَى الخَلْــقِ بالــذِّمَمِ (١٤٧)

= حيث اتبعت الشعر والخدم لأبناء الدنيا ، ولو صحبها التوفيق لَتركتُ ذلك ، واشتغلت بالدين .

(١٤٥) المراد **بالآجل** الثواب الذي يكون في الآخرة المحققة الباقية ، و**بالعاجل** الذي يأخذه من الدنيا الذاهبة الفانية . والظاهر أن الضمير في « منه » راجع للدين في البيت قبله . وقوله **« يبن له الغبن »** أي يظهر له الخداع ، وقوله **« في بيع وفي سلم »** ، **السَّلم** : السلف ، والمعنى : يظهر له الغبن في حالة البيع ، وفي السلفِ أيضًا .

(١٤٦) هذا البيت تأنيس للنفس وترجٍّ لها في رحمة الله تعالى . **« آت »** أصله أأت ، بهمزتين . وقوله **« فما عهدي بمنتقض من النبي »** أي فما إيماني بمنقطع عن النبي ؛ لأنّ الذنب لا يَنقض الإيمان ، وقوله **« ولا حبلي بمنصرم »** أي ولا وصلي بمنقطع من النبي ﷺ .

(١٤٧) قوله **« فإن لي ذمة »** إلخ هذا البيت تعليل للبيت قبله . ووجه ذلك أن اختياره التسمية باسمه ﷺ دليلٌ على محبته فيه ؛ فإنه لا يتسمى بالاسم إلا من أحب مسمّاه ، وأما من يكرهه فلا يتسمى به . وقوله **« وهو أوفى الخلق بالذمم »** أي وهو ﷺ أشدهم وفاءً بها ، فيقوم بحقها بأن يشفع لأهلها لعظم جاهه وعلو مكانته عند ربه . وفي كلام المصنف ترغيب في التسمية باسمه ﷺ .

إنْ لَمْ يَكُــنْ في مَعَــادي آخِــذًا بِيَــدي

فَضْــلاً ، وإلّا فقُــلْ يــا زَلَّــةَ القَــدَمِ (١٤٨)

حاشــاهُ أن يَحْــرِمَ الرَّاجِــي مَكارِمَــهُ

أو يُرْجِــعَ الجــارَ مِنْــهُ غــيرَ مُحْــتَرَمِ (١٤٩)

وَمُنْــذُ أَلْزَمْــتُ أفكــارِي مَدائِحَــهُ

وَجَدْتُــهُ لِــخَلاصي خَــيْرَ مُلْتَــزَمِ (١٥٠)

---

(١٤٨) أي إن لم يكن ﷺ في يوم عَوْدي إلى الله تعالى آخذًا بيدي ، بأن يشفع لي ، حال كون ذلك فضلاً منه . لا لسابقة مني تقتضي ذلك ، فقل **يا زلة القدم** ، وهو كناية عن سوء الحال والوقوع في الشدة .

(١٤٩) **حاشا** هنا اسمٌ بمعنى المحاشاة ، وهي التنزيه . وقوله **« أن يحرم الراجي مكارمه »** أي من أن يحرم النبي ﷺ الراجي منه مكارمه ، و**المكارم** : جمع مكرمة ، والمراد منها الشفاعة ، وقوله **« أو يرجع الجار منه غير محترم »** فالمعنى : وحاشاه من أن يرجع الجار منه أي المستجير به الداخل في جواره ، حالَ كونه غير محترم ، بل يرجع محترمًا بشفاعته ﷺ ، جعلنا الله من أهل شفاعته أجمعين .

(١٥٠) **الأفكار** : جمع فكر ، وهو حركة النفس في المعقولات ، و**المدائح** : جمع مديح ، وهو الثناء الحسن ، وإنما كان ﷺ خير ملتزم لخلاصه من الشدائد ؛ لأنه وَفَّى بخلاصه منها على أحسن الوجوه وأتمها ، وأشار المصنف بذلك إلى الداء الذي كان أصابه ، وهو داء الفالج (الشلل) والعياذ بالله تعالى منه ، وكان هو السبب في إنشاء هذه القصيدة ، فإنه لما أصيب به عملها فرأى النبي ﷺ في النوم ، ومسح بيده الكريمة عليه فعوفي .

وَلَـن يَفُـوتَ الغِنَـى مِنْـهُ يـدًا تَرِبَـتْ

إنَّ الْـحَـيَا يُنبِتُ الأزهـارَ في الأُكُـمِ (١٥١)

ولَمْ أُرِدْ زَهْـرةَ الـدُّنيا التـي اقْتَطَفَـتْ

يَـدا زُهَـيرٍ بـما أَثْنـى عَـلَى هَـرِمِ (١٥٢)

يـا أكْـرَمَ الرُّسْـلِ مـا لِي مَنْ أَلُـوذُ بِـهِ

سِـواكَ عنْـدَ حُلـولِ الحـادثِ العَمَـمِ (١٥٣)

---

(١٥١) **الغنى** : اليسار ، والضمير في **منه** عائد على النبي ﷺ ، **وتربت** بكسر الراء : أي التصقت بالتراب ، لكونها مفتقرة افتقارًا حسيًّا ، بأن ضيعت ما كان فيها من الأموال ، أو معنويًا بأن ضيعت ما كان لها من الثواب ، لاقترافها المعاصي .
الحيا : المطر . **ينبت الأزهار** : جمع زهر . **في الأُكُم** : بضمتين جمع أكَمَة ، والأكمة هي الربوة ، أي المحل المرتفع من الأرض ، وهو قليل النبات لعدم استقرار الماء عليها لعلوها ، كذلك ﷺ ينيل الغنى من ليس مظنة الغنى .
(١٥٢) لما كان قوله « ولن يفوت الغنى ... » إلخ يوهم التعريض بطلب شيء من حطام الدنيا ، دفع هذا التوهمَ بقوله **« ولم أرد زهرة »** إلخ أي وإنما أردت الغنى منه في الآخرة بالشفاعة في المذنبين . والمراد **بزهرة الدنيا** مستلذاتها من المال وغيره ، والمراد **بزهير** الشاعر المشهور وهو ابن أبي سُلمى ، كان زهير من الشعراء المقدَّمين على سائر الشعراء في الجاهلية .
وقوله **« بما أثنى على هرم »** أي بالمدح الذي أثنى به زهير على هرم بن سنان ، وكان يصل زهيرًا بالصلات الجزيلة الخارجة عن العادة .
(١٥٣) قوله **« ما لي من ألوذ به سواك »** أي ليس لي أحد ألتجئ إليه غيرك . وقوله **« عند حلول الحادث العمم »** أي عند نزول الحادث العام ، أي الشامل لجميع الخلق ، والمراد يوم القيامة كلًّا من الرسل يقول حينئذ : « نفسي نفسي » ، والنبي ﷺ يقول : « أمتي أمتي » .

وَلَـنْ يَضِـيقَ رسـولَ اللهِ جاهُـكَ بي
إذا الكـريمُ تحَـلَّى باسْـمِ مُنْـتَقِمِ (١٥٤)

فَـإنَّ مِـنْ جُـودِكَ الـدُّنْيا وَضَرَّتَهـا
ومِـنْ عُلومِـكَ عِلْـمَ اللَّـوْحِ والقَلَـمِ (١٥٥)

---

(١٥٤) **الجاه** : القدْر والمنزلة ، وهو مأخوذ من الوجاهة ، وهي رفعة القدر وسعة المرتبة . وقوله « **بي** » أي عني . وقوله « **إذا الكريم تحلى باسم منتقم** » أي وقت كون المولى اتصف باسم هو « منتقم » ، واتصافه بذلك عند انتقامه بالفعل من العصاة ، وذلك الوقت هو يوم القيامة .

(١٥٥) هذا البيت تعليل للبيت قبله ، فكأنه قال : وإنما كان جاهك يا رسول الله لا يضيق بي بل يسعني وغيري من العصاة ؛ لأن من جودك الدنيا إلخ ، أي خيرَيِ الدنيا وضرتها التي هي الآخرة ؛ فمن خير الدنيا هدايته ﷺ للناس ، ومن خير **الآخرة** شفاعته ﷺ فيهم . قوله « **ومن علومك علم اللوح والقلم** » : المراد بعلومه ﷺ المعلومات التي أطلعه الله عليها ، والمراد **بعلم اللوح والقلم** : المعلومات التي كتبها القلمُ في اللوح بأمر الله تعالى فإنه ورد « أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » ، واستُشْكِلَ جعلُ علم اللوح والقلم بعض علومه ﷺ بأن من جملة علم اللوح والقلم الأمور الخمسة المذكورة في آخر سورة لقمان : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ ، وأجيب بعدم تسليم أن هذه الأمور الخمسة مما كتب القلم في اللوح وإلا لاطَّلع عليها مَن شأنه أن يطَّلع على اللوح كبعض الملائكة المقرَّبين ، وعلى تسليم أنها مما كتب القلم في اللوح ، فالمراد أن بعض علومه ﷺ علم اللوح والقلم الذي يطلع عليه المخلوق .

يـا نَفْسُ لا تَقْنَطـي مِـنْ زَلَّـةٍ عَظُمَـتْ

إنَّ الكَبـائِرَ في الغُفْـرانِ كـاللَّمَمِ (١٥٦)

لَعَـلَّ رَحْمَـةَ رَبِّي حِـينَ يَقْسِـمُها

تَأْتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ في القِسَمِ (١٥٧)

يا رَبِّ واجْعَلْ رَجائي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ

لَدَيْكَ واجْعَلْ حِسابي غَيْرَ مُنْخَرِمِ (١٥٨)

---

(١٥٦) أصل قوله « يا نفس : يا نفسي » ، وقوله « لا تقنطي » أي لا تيأسي ، وقوله « من زلة عظمت » أي من أجل زلة كبرت ، والأصل : من غفران زلة عظمت ، والزلة بفتح الزاي وتشديد اللام الذنب . وقوله « إن الكبائر في الغفران كاللمم » أي إن الذنوب العظام التي ارتكبتِها أيتها النفس في جانب الغفران ، أي بالنسبة له ، كصغار الذنوب . وفي قول الناظم ، ردٌّ على من زعم أن الكبائر كالصغائر ، كالمعتزلة ، فإنهم يقولون بأن الكبائر لا تُغفر ، بل مرتكبها يخلد في النار . والحق مذهب أهل السنة أن الكبائر كالصغائر في الغفران ، وهو الموافق للقرآن (١) وللسنة ، وللدليل العقلي .

(١٥٧) أي أرجو أن تكون رحمة ربي تأتي في القسم حين يقسمها بين العصاة على قدر عصيانهم ؛ فمن حمل من العصيان حملا صغيرًا كان ما يناله من الرحمة شيئًا صغيرًا .

(١٥٨) قوله : « يارب » أصله يا ربي . وقوله « واجعل رجائي » أي اجعل رجائي للرحمة غير منعكس : أي غير خائب ، وقوله « لديك » أي عندك ، وقوله « اجعل حسابي غير منخرم » أي اجعل ما حسبته ، أي=

---

(١) كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوالُ يَنْهَزِمِ (١٥٩)

وائْذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ مِنْكَ دائِمَةٍ
عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ (١٦٠)

ما رَنَّحَتْ عَذَباتِ البانِ رِيحُ صَبًا
وأَطْرَبَ العِيسَ حادِي العِيسِ بالنَّغَمِ (١٦١)

= ظننته من الجميل فيك ، غير ناقص ، وفي الحديث القدسيّ حكايةً عن الله تعالى : « أنا عند ظنِّ عبدي بي : إنْ خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر » .

(١٥٩) معنى **الطف** : ارفق ، وعنى **بالعبد** نفسه ، واختار الوصف بالعبودية لما فيها من غاية الذلة والخضوع . وقوله **« في الدارين »** أي داري الدنيا والآخرة ، ثم علل ذلك بقوله **« إن له صبرًا »** أي إن لعبدك صبرًا لا يثبت ، بل متى تدعه الأهوال ينهزم أمامها .

(١٦٠) **السحب** : جمع سحاب الذي هو الغيم ، وإضافة سحبٍ للصلاة من إضافة المشبه به للمشبه ، أي للصلاة الشبيهة بالسحب ، في أن كلا رحمة ، وقوله **« على النبي »** أي سيدنا محمد ﷺ ، وقوله **« بمنهل ومنسجم »** والتقدير بمطر منهل ، ومطر منسجم ، و**المنهل** : المنصبّ لشدته ، و**المنسجم** : السائل لعدمِ شدّته .

(١٦١) قوله « ما رنحت عذبات البان » إلخ أي مدّة ترنيح عذبات البان إلخ ، و**الترنيح** : التمييل ، و**عذبات البان** : أغصانه ، و**البان** : شجرٌ معروف طيب الرائحة . وقوله **« ريح صبا »** الريح الشرقية التي تهب صوب باب الكعبة ، وإنما سميت بذلك لأنها تصبو أي تميل إليها ، وأصول الرياح أربعة : الأولى : الصبا ، والثانية : الدّبور ، وهي الريح الغربية ، والثالثة : الشمال ، بفتح الشين ، والرابعة : الجنوب بفتح الجيم ، وهي الريح القِبلية ،=

قال الشيخ الباجوري - رحمه الله :

ويوجد في بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من الشارحين ، لكن لا بأس بها ، وهي :

ثُمَّ الرِّضا عَنْ أبي بكرٍ وعَنْ عُمَرٍ
وعَنْ عَليٍّ وعَنْ عثمانَ ذي الكَرَمِ

والآلِ والصَّحْبِ ثُمَّ التابعينَ فَهُمْ
أَهْلُ التُّقَى والنَّقا والحِلْمِ والكَرَمِ

يا رَبِّ بالمُصطَفَى بَلِّغْ مَقاصِدَنا
واغْفِرْ لنا ما مَضَى يا واسِعَ الكَرَمِ

واغْفِرْ إلهي لِكُلِّ المسلمين بما
يتلُونَ في المسجدِ الأقْصَى وفي الحَرَمِ

= وقوله « وأطربَ العيس » إلخ أي ومدة إطراب العيس إلخ . و الإطراب إحداث الطرب ، وهو خفة تنشأ عن سرور . و العيس بكسر العين هي الإبل بيض يخالطها شقرة أو حمرة شديدة ، وهي من كرام الإبل ، والمراد بحادي العيس سائقها ، وقوله « بالنغم » بفتح النون : الصوت الحسن .
وفي هذا البيت والذي قبله براعة الختام ، وتسمى حسن المقطع وحسن الخاتمة ، وهي في الشعر عبارة عن ختم القصيدة بأجود بيت يحسن السكوت عليه لأنه آخر ما يبقى في الأسماع ، وربما حُفظ دون غيره لقرب العهد به .

بجـاهِ مَـنْ بَيْتُـهُ في طِيبَـةٍ حَـرَمُ

واسْـمُهُ قَسَـمٌ مِـنْ أعظَـمِ القَسَـمِ

وهَـذِهِ بُـرْدَةُ المخْتـارِ قَـدْ خُتِمَـتْ

والحَمْـدُ للهِ في بَـدْءٍ وفي خَـتَمِ

أبياتُهـا قـد أتَـتْ سِـتينَ مَـعْ مِائـةٍ

فَـرِّجْ بهـا كَرْبَنـا يـا واسـعَ الكَـرَمِ

الفهرس